

ابن طباطبا الناقد

بقــلم

د . محمد بن عبد الرحمن الربيع

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مركز البحوث العلمية

كتاب الشهر (٤)

ربيع الثاني ١٣٩٩ هـ • مارس ١٩٧٩ م
النادي الأدبي بالرياض
المملكة العربية السعودية - الرياض ص.ب ٨٥٣١
ت ٦٦٦٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبي بعده .

وبعد : فهذا بحث عن أبي الحسن محمد بن طباطبا العلوي وآرائه النقدية وأول معرفتي بابن طباطبا كانت عندما قرأت كلمة عنه في مجلة العربي الكويتيه للدكتور أحمد أحمد بدوي .

ثم قدر لي أن أكتب بحثاً عن (الوحدة العضوية في الشعر) وقد تطرقت فيه إلى آراء النقاد العرب في بناء القصيدة فكان رأي ابن طباطبا في هذا الموضوع مثار إعجاب وإمتاع لأن رأيه قريب مما ينادي به المجددون في الشعر والنقد العربي الحديث حول بناء القصيدة بناء متكاملا مترابطاً .

ثم تقدمت ببحث حول ابن طباطبا « حياته ونقده وشعره » إلى كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر لنيل درجة التخصص « الماجستير » » في الأدب والنقد وقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع عدة أسباب .

أولا : آراء ابن طباطبا القيمة التي تستحق البحث والدراسة .

ثانياً : أنه لم يؤلف عنه كتاب مستقل يتحدث عن كل جوانبه وآرائه •

ثالثاً : بيان أن نقدنا العربي القديم مليء بالآراء القيمة التي تحتاج منا إلى دراسة جديدة واعية •

وعندما شرفني النادي الأدبي بالرياض بأن أكون من المرشحين للكتابة في سلسلة كتاب الشهر واقترح علي أن أكتب حول ابن طباطبا الناقد اخترت من رسالتي للماجستير مايتعلق بحياته ونقده مع بعض الاختصار والحذف ليكون الكتاب في الحجم المحدد للسلسلة •

وبالله التوفيق ؟

د • محمد بن عبد الرحمن الربيع
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
مركز البحوث العلمية

الرياض في ١٣٩٩/٢/١٢ هـ •

حيـاته

نسـبه :

أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمـد بن إبراهيم (طباطبا) بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن ابن علي بن أبي طالب كما ذكر ذلك ياقوت في معجم الأدباء (٦/ ٢٨٤) والمرزباني في معجم الشـعراء (ص ٤٦٣) والصفدي في الوافي (٢/ ٧٩) والعباسي في معاهد التنصيص (٢/ ١٢٩) ومحسن الأمين في أعيان الشيعة (٤٣/ ٢٤٨) .

وقال ابن حزم في جمهرة أنساب العرب (ص ٤٣) عند حديثه عن ولد إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (وولـد إبراهيم : إسـماعيل وإسحاق وعلي ومحمد ... وولد إسماعيل الحسن وإبراهيم (طباطبا) وفيه الجمهرة والعدد ...) ثم قـال (ومنهم الشـاعر الأصـبهاني وهو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمـد بن إبراهيم ...) فهو من الأسرة العلوية الشريفة ومن ذرية الحسن بن علي رضى الله عنهمـا وقد وهم الدكتور أحمد بدوي في كتابه (من النقد والأدب ٥/ ١٤٢) عندما عده من ذرية الحسين بن علي .

وقد اشتهرت أسرته « بآل طباطبا » قسم منهم أقام باليمن وكونوا الدولة الرسية (٢٨٠ هـ ـ ٣٨٢ هـ) وقسم

أقام بمصر ومنهم أبو القاسم أحمد بن محمد بن إسماعيل نقيب الطالبيين بمصر الذي شكا ابن خلكان عندما ترجم له في وفيات الأعيان (١/ ١٣٠) من اختلاط أخباره (١) بأخبار صاحبنا أبي الحسن وقسم منهم أقام بالبصرة وقسم في أصبهان ومنهم أبو الحسن ٠

وطباطبا :

لقب جده إبراهيم وقد وهم بعض الكتاب فعد طباطبا ابناً لإبراهيم مع أنه لقبه ٠ وممن وهم في ذلك إسماعيل البغدادي في هدية العارفين (٦/ ٣٣) والدكتور طه الحاجري والدكتور محمد زغلول سلام محققا عيار الشعر حيث قالا في المقدمة : محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن طباطبا ٠٠٠ فأسقطا جده الثاني أحمد وجعلا إبراهيم ابناً لطباطبا مع أنه لقبه ٠

وقد ذكر ابن خلكان في وفيات الأعيان (١/ ١٣٠) سبب تلقيب إبراهيم بطباطبا فقال في ترجمة أبي القاسم أحمد ابن طباطبا : طباطبا بفتح الطائين المهملتين والباءين الموحدتين ــ وهو لقب جده إبراهيم وإنما قيل له ذلك لأنه كان يلتغ فيجعل القاف طاء وطلب يوماً ثيابه فقال له

(١) انظر في شعر أبي القاسم أيضاً يتيمة الدهر ١/ ٤٢٨

خادمه : أجيء بدراعة فقـــال : لا بل طباطبا يريد قباقباً فبقي عليه لقباً واشتهر به •

حيــاته :

لاتسعفنا المصادر الموجودة لدينا بأخبار مفصلة عن حياته ولعل أوسع ترجمة له ماذكره ياقوت عنه في معجم الأدباء وما جمعه محسن الأمين من أقوال القدماء في كتابه (أعيان الشيعة) ولذلك فلن نجد ترجمة مفصـــلة لحياته بل نتفاً متفرقه لاتكوّن صورة واضحة عنه •

مولده :

اتفق الذين ترجموا لـــه على أنه ولد وتوفي في مدينة أصـــبهان وأنه لم يفارقها قط أمـــا تاريخ مولده فمجهول وجميع المصادر التي رجعت إليها لاتشير إلى تاريخ مولده بشيء وقد حاولت أن أتوصـــل إلى تاريخ تقريبي لمولده بدراسة شعره والشخصـــيات التي عاصرها ولكن أخباره القليلة لاتساعد على التوصل إلى ذلك •

وقد اســـتشهد ابن المعتز بشـــعر ابن طباطبا في كتابه (البديع) في ثلاثة مواضع (١) والمقطوع به أن ابن المعتز قد ألف كتاب البديع عام ٢٧٤ هـ واستشهاده بشـــعر ابن

---

(١) البديع ص ٩ و ٢١ و ٧٢

طباطبا يدل على أنه زمن تأليف الكتاب قد أصبح شـاعراً مشهوراً ووصلت أشـعاره إلى بغداد وعرفها ابن المعتز واستشهد بها وربما يتيح لنا ذلك أن نفترض أنه ولد في أواخر النصف الأول من القرن الثالث الهجري أو أوائل النصف الثاني منه •

وكانت لابن طباطبا مكانة كبيرة في أصـبهان فهو أمير علوي وكاتب وشاعر ومؤلف ولذلك كانت له صلات برجالات أصبهان في عصره فقد كانت له علاقة بقاضي أصبهان أحمد ابن عثمان البري (١) ثم وقع بينهما خصـام فهجاه ابن طباطبا بقوله :

شـيئان حـار الورى فيهما
بأصـبهان : الفيـل والقـاضي
ليس يـرى هـذا ولاذاك فـكم
من سـاخط منـا ومن راضي
الفيـل يرشى عنـد سـنديه
فـأين سـنديك يـاقـاضي

واتصل كذلك بأديب أصبهان أبي الحسن على بن حمزة ابن عمـارة (٢) يقول يـاقوت (ولعلي بن حمزة هـذا

---

(١) محاضرات الأدباء ١/٩٧
(٢) معجم الأدباء ٥/٣٠٢

متفاوضات طوال وجوابات لجماعة من شعراء أصبهان منهم أبو الحسن ابن طباطبا العلوي لم أذكر شيئاً منها لطولها ...) .

واتصل كذلك بأبي علي الرستمي (١) والي خراج أصبهان ونادمه ثم هجاه بهجاء مقذع وكانت له صلة قوية بأبي الحسين محمد بن أحمد بن يحى بن أبي البغل (٢) الذي ولي ديوان الخراج والضياع بأصبهان سنة ٣٠٠ هـ فقد نظم أشهر قصائده « التائية » لولده أبي عبد الله وكان لايستطيع النطق بالراء ولا الكاف فنظم ابن طباطبا قصيدة خالية من هذين الحرفين ثم حفظها الابن وأنشدها في مجلس والده ومطلعها .

ياسيداً دانت له السادات
وتتابعت في فعله الحسنات

ذوهمة علوية توفي على الجوزاء
(م) تسقط دونها الهمات

تنأى عن الأوهام إلا أنها
تدنو إذا نيطت بها الحاجات

---

(١) معجم الأدباء ٢٩٣/٦
(٢) معجم الأدباء ٤٢٠/٦

والله ما شـــأني المـديح وبذلـه
لمؤمـــل ليمينـه نفحـــات

إلامجـــازاة لمن أضــحت لــه
عنـدي يـد أغـذى بهـا وأقـات

وعدد أبياتها تسعة وأربعون بيتاً (١) •

صلته بعبد الله بن المعتز :

كان عبد الله بن المعتز وابن طباطبـا متعـاصرين وابن المعتز شاعر كبير وأديب عظيم وابن طباطبا كذلك ولذلك اشتاق كل منهما إلى الآخر ولكن لم يتم بينهما لقاء لأن ابن طباطبا لم يغادر أصبهان طيلة حياته وابن المعتز لم يفد إليها •

وقد كان ابن طباطبا شغوفاً بشعر ابن المعتز حريصاً على الحصول على ديوانه وقد تم له ذلك في آخر أيامه وقد روى ياقوت كيفية حصوله على شعر ابن المعتز فقال (٢) (أما ظفره بشعره فقد اتفق له في آخر أيامه وله في ذلك قصة عجيبة وذلك أنه دخل إلى دار معمر وقد حملت إليه

---

(١) معجم الأدباء ٢٨٦/٦ والوافي للصفدي ٧٩/٢ ومعاهد التنصيص ١٢٩/٢ واعيان الشيعة ٢٥٠/٤٣

(٢) معجم الأدباء ٢٨٥/٦

من بغداد نسخة من شعر ابن المعتز فاستعارها •• فسَّوف بها فتمكن عندهم من النظر فيهـا وخرج وعدل إليَّ كالا متعباً كأنه ناهض بحمل ثقيل فطلب محبرة وكاغداً وأخذ يكتب عن ظهر قلبه مقطعات من الشعر فسألته لمن هي ؟ فلم يجبني حتى فرغ من نسخها وملأ منها خمس ورقات من نصف المأموني وأحصيت ـ أي راوي الخبر لا ياقوت ـ الأبيات فبلغ عددها مائة وسبعة وثمانين بيتاً حفظها من شعر ابن المعتز في ذلك المجلس واختارها من سائرها ومع ذلك فلم يستشهد بشعر ابن المعتز في عيار الشعر وربما يكون قد ألفه قبل حصوله على شعره وربما يكون قد استشهد بشعره في كتبه الأخرى •

وقد أثنى ابن المعتز على ابن طباطبا وقال (١) (ماأشبهه في أوصافه إلآ محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك إلآ أن أبا الحسن أكثر شعراً من المسلمي وليس في ولد الحسن من يشبهه • بل يقاربه على بن محمد الأفوه) وكذلك استشهد بشعره في ثلاثة مواضع من كتاب البديع ولكنه لم يترجم له في (طبقات الشعراء) •

وقد ذكر الدكتور طه الحاجري والدكتور محمد زغلول سلام في تقديم عيار الشعر أن ابن المعتز راسله ونسبا

---

(١) معجم الادباء ٦/٢٨٥

ذلك إلى يـاقوت في معجم الأدباء (١٥/ ٩٠ ط رفاعى) وهـذا وهم منهمـا حيث أن الذي ذكره ياقوت (نفس الصـفحة والطبعة) أن ابن المعتز راسـل أبـا الحسن الأصفهاني والمقصود به علي بن مهدي الكسروي لا أبا الحسن محمد بن طباطبا العلوي •

لم يتولّ ابن طباطبا ــ فيمـا نعلم ــ أي منصـب رسمي والمعروف أن العباسـيين قد عزلوا العلويين عن الحياة السياسية واضطهدوهم في أغلب أيامهم خصوصاً في عهد سيطرة الأتراك على الخلافة العباسية (٢٤٧ ـ ٣٣٤ هـ) •

ويبدو أنه كان موسراً غنياً في سعة من العيش وله مقام كبير بأصبهان •

إذا عـد أغنى النـاس لم أك دونـه
وكنت أرى الفخر المسـود دونـه (١)

ولذلك لم يتكسـب بشـعره وإنما كان يقوله بدافع ذاتي •

والله مـا شـأني المـديح وبـذله
لمؤمـل ليمينـه نفحـات

(١) معجم الأدباء ٢٨٦/٦

وكان شـاعراً غزلا له في الحب تجـارب وصـولات وجولات :

أقول وقد أوقضـت من سـنة الهوى
بعـذل يحاكي لـذعه لذعة الهجـر (١)

دعـوني وليـل اللهوفي ليـل لمتي
ولاتـوقظوني بالمـلام إلى الفجر

وكان ــ مع ذلك ــ متجهاً إلى العلم والأدب وقد وصفه ياقوت (٢) (بأنه كان مذكوراً بالذكاء والفطنة وصـفاء القريحة وصـحة الذهن وجودة المقاصـد معروفاً بذلك مشهوراً به) وقال المرزباني عنه (٣) (شيخ من شـيوخ الأدب بأصبهان) وقال عن نفسه (٤) :

حسـود مـريض القلب يخفي أنينـه
ويضـحي كئيب البـال عنـدي حزينه

(١) محاضرات الأدباء ٢/١٤٥
(٢) معجم الأدباء ٦/٢٨٤
(٣) معجم الشعراء ص ٤٦٣
(٤) معجم الأدبـاء ٦/٢٨٩ ومحاضرات الأدبـاء ١/١٣ والمحاسن والمساوي للبيهقي ٢/١٢ وقد نسب ابن الانباري فى نزهة الألباء ص ٣٧٠ هذه الأبيات إلى الشريف ابي المعمريحيي ابن طباطبا .

يلـــوم على أن رحت في العلـــم راغبـــاً
أجمِّـــع من عنــــــد الــــرواة فنونــــــه

وأمالــك أبــــكار الـــــكلام وعونـــه
وأحفـــظ ممـــــا أســــــتفيد عيونــــه

ويـــزعم أن العـــــلم لايجـــلب الغنى
ويحســــــن بالجهــــل الــــذميم ظنونـــــه

فيــــا لائمي دعني أغــــــــالي بقيمتي
فقيمـــة كــــل النــــاس مــــا يحســــنونه

وكان واسع الثقافة عميق الاطلاع يدل على ذلك كتابه « عيار الشعر » حيث أنه حافل بالأبيات الشعرية الجميلة والآراء النقدية الجيدة مما يــدل على أنه قـــد قرأ كتب سابقيه من النقاد والأدباء ووعاها واستفاد منها •

وفـــاته :

أجمع الذين كتبوا عنه على أنه توفي عام ٣٢٢هـ٩٣٤م •

مؤلفـاته

لايعرف في الوقت الحـاضر من مؤلفـات ابن طباطبا الاكتاب « عيار الشـعر » الـذي قام بتحقيقه ونشره الأستاذان : د • طه الحاجري و د • محمد زغلول سـلام عام ١٩٥٦ م •

وقد ذكرت المراجع له كتباً أخرى ولكننا لانعرف لها وجوداً وربما عثر عليها في المستقبل وكتبه هي :

١ ـ عيار الشعر : وقد نسب إلى أبي الحسن في أكثر المراجع المعتمدة كما في معجم الأدباء والفهرست والوافي في الوفيات ومعـاهد التنصـيص وهدية العارفين ومعجم المؤلفين والأعلام ممـا يجعلنا نقطع بصحة نسبة الكتاب إليه •

وقد نسـبه حـاجي خليفة في كشـف الظنون (٢/١١٨١) إلى أبي القاسم ابن طباطبا الرسي المصري فقال (وعيار الشعر لابن طباطبا أبو القاسم أحمد بن محمد بن إبراهيم نقيب الطالبيين بمصر المتوفي سـنة ٣٤٥ هـ) وهذا وهم وخلط بين أبي الحسن وأبي القاسم •

وقد أخطأ المستشرق الألمـاني كارل بروكلمان (تاريخ الأدب العربي ٢/١٠٠) عندما ظن أن كتاب

عيار الشعر كتاب عروضي وقال (وابن طباطبا مؤلف الكتاب العروضي عيار الشعر) بينما الحقيقة أن لابن طباطبا كتاباً آخر في العروض •

٢ ــ تهذيب الطبع : مختارات شعرية وقد أشار إليه في عيار الشعر أكثر من مرة (ص ٧ و ٨ و ١٤ و ٣١) وقال عنه (وقد جمعنا ما اخترناه من أشعار الشعراء في كتاب سميناه تهذيب الطبع يرتاض من تعاطى الشعر بالنظر فيه ويسلك المنهاج الذي سلكه الشعراء) وبعد حديثه عن التشبيه في عيار الشعر أشار إلى كتاب تهذيب الطبع وقال (فهذه أمثلة لأنواع التشبيهات وفي كتاب تهذيب الطبع مايسد الخلل الذي فيها ويأتي على ما أغفلنا وصفه والاستشهاد به من هذا الفن إن شاء الله تعالى) •

٣ ــ كتاب العروض : قال عنه ياقوت (إنه لم يسبق إلى مثله •

٤ ــ المدخل إلى معرفة المعمى من الشعر •

٥ ــ تقريظ الدفاتر •

٦ ــ سنام المعالي •

٧ ــ الشعر والشعراء •

٨ ــ ديوان شعره : ذكره ابن النديم في الفهرســت (ص ٢٠٢) وذكر في موضع آخر (ص ٢٢٢) أن أبا بكر الصولي جمع شعر ابن طباطبا ورتبه على حروف المعجم .

وهو من الدواوين المفقودة وقــد قمت بجمع شعره من مصادر كثيرة وكتبت دراسة حول هذا الشعر لم تنشر بعد .

كما قام السيد جابر الخاقاني من العراق بجمع شعره وطباعته في ديوان صغير .

عيار الشعر

لم يبق معروفاً في عصرنا من كتب ابن طباطبا الا˜ كتاب « عيار الشعر » وقد ألفه جواباً لسؤال موجه اليه من رجل يسمى أبا القاسم سعد بن عبد الرحمن وكان قد سأله عن علم الشعر وكيف يتوصل الى نظمه فأجابه بهذا الكتاب (١) فهمت ــ حاطك الله ــ ما سألت أن أصفه لك من الشعر والسبب الذي يتوصل به إلى نظمه وتقريب ذلك على فهمك والتأني لتيسير ما عسر منه عليك وأنا مبين ما سألت عنه وفاتح ما استغلق عليك منه إن شاء الله) •

خطته في تأليف الكتاب :

نبه المؤلف في مواضع مختلفة من كتابه إلى أنه قد تعمد الاختصار وأنه اكتفى بالجزء عن الكل وأنه ترك تفصيل بعض الأمور لكتبه الأخرى وقال (٢) (وكل ما أودعناه في هذا الكتاب فأمثلة يقاس عليها أشكالها وفيها مقنع لمن دق نظره ولطف فهمه ولوذهبنا نستقصى كل باب من الأبواب التي أودعناها كتابنا لطال النظر فيه فاستشهدنا بالجزء على الكل وآثرنا الاختصار على التطويل) •

---

(١) عيار الشعر ص ٣

(٢) عيار الشعر ص ٨٣

ويبدو أن المؤلف لم يرتب كتابه ويبوبه تبويباً منطقياً بل كان يتنقل من غرض إلى غرض ويتكلم عن الموضوع في مكان ثم يعود إليه في مكان آخر ولذلك فقـد الكتاب التنسيق والترتيب فكان يخرج من موضـوع الى آخر ويتحدث عن المحاسن ثم ينتقل إلى العيوب ثم يعود الى المحاسن كبحثه لأقسام الشعر فقد تحدث عن الأشـعار المحكمة ثم الأشـعار الغثة ثم عاد إلى الشعر البارع ثم الشعر القاصر ثم الشعر المحكم وهكذا ...

وقد وصف الدكتور احسان عباس الكتاب بقوله (١) (مقالة استطرادية في النقد معتمدة على صفاء الذوق الفني دون سواه) .

وقد أكثر المؤلف من الشواهد والأمثلة وكان موفقاً في كثير من اختياراته فجاءت الأمثلة أصلا للكتاب أما القواعد النقدية والبلاغية فلا تطغى على الأمثلة ولذلك يمكننا أن نقول ان الجانب التطبيقي بارز واضح في الكتاب فـكل مسألة يورد عليها من الأمثلة مايجعل القارىء يقتنع بصدق نظرته فعندما قال ان المحدثين أحسن تخلصاً من القدماء اختار من شـعرهم نماذج جيدة بلغت ٣٧ أنموذجـاً في محاولة ناجحة لاقناعنا بصحة الدعوى .

---

(١) تاريخ النقد الأدبي ص ١٣٣

والكتاب على صغره تضمن مايقرب من ثمانمائة بيت من الشعر لأكثر من مائة وعشرين شاعراً •

وهو في أمثلته لايتعصب للقدماء أو المحدثين بل يورد الأمثلة من شعر هؤلاء وشعر أولئك مع بيان مايمتاز به القدماء أو المحدثون من ميزات وخصائص فنية •

ويرى الدكتور محمد زغلول سلام أن الكتاب ينقسم الى قسمين مقدمة ومتن ويقول (١) (ويقسم الكتاب الى قسمين أساسيين : مقدمة ومتن ويشبه في تقديمه للكتاب بمقدمة مستفيضة بعض النقاد الذين اعتادوا ذلك فجاءت مقدماتهم أهم بكثير من متون كتبهم إذ أظهرت تلك المقدمات تفصيل آرائهم في النقد ومنهم ابن قتيبة صاحب مقدمتي الشعر والشعراء وأدب الكاتب والمرزوقي صاحب مقدمة شرح الحماسة •••) وأعتقد أن هذا التشبيه وتلك المقارنة غير صحيحين فمقدمة ابن قتيبة لكتابه الشعر والشعراء مقدمة مستقلة بنفسها وضعها كمدخل لكتابه أوضح فيها آراءه النقدية قبل أن يشرع في تراجم الشعراء ومقدمة المرزوقي أوضح فيها آراءه النقدية والأدبية قبل أن يشرع في شرح أبيات الحماسة أما ابن طباطبا فلا أعرف حدود المقدمة التي يعنيها الدكتور سلام والتي قال عنها مستفيضه وأهم من الكتاب •

---

(١) تاريخ النقد العربي ١٤٦/١

والخلاصة : أن خطته في تأليف الكتاب تعتمد على :

١ ــ الاختصـــار •

٢ ــ عدم الترتيب •

٣ ــ إلاكثار من الشـواهد •

المراد بعيار الشعر :

وقد ســـمى ابن طباطبا كتابه « عيار الشـــعر » لأنه وضعه معياراً وميزاناً يقاس به الشعر ويوزن ويحكم عليه بمـا ورد في الكتاب من قواعد ومعايير لذلك والعيار في اللغة ما يوزن به الأشياء قال ابن منظور (١) (عير الدينار وازن به آخر وعير الميزان والمكيال وعاورهما وعاير بينهما معايرة وعياراً قدرهما ونظر مابينهما ••• ويقال فـلان يعاير فلاناً ويكايله أي يساميه ويفاخره ••• والمعيار من المكاييل ما عير قال الليث : المعيار ما عايرت به المكاييل فالعيار صحيح تام واف تقول عايرت به أي سويته وهو العيار والمعيار يقال عايروا ما بين مكاييلكم وموازينكم وهو فاعلوا من العيار ولاتقل عيروا •••) وقال الزبيدي في تاج العروس (٢) (وعير الميزان والمكيال وعاورهمـا وعاير بينهما معايرة وعياراً بالكسر قدرهما ونظر مابينهما)

---

(١) لسان العرب ٣٠٢/٦

(٢) تاج العروس ٤٣١/٣

وقال الزمخشري في الأساس (١) (قصيدة عائرة سائرة وما قالت العرب بيتاً أعير منه وهمة عائرة وتعاير القوم تعابيوا وعاير المكاييل والموازين قايسها •••) وفي المعجم الوسيط (٢) (العيار : كل ما تقدر به الأشـياء من كيل أو وزن وما اتخذ أساساً للمقارنة مج •••) •

وقد تحدث ابن طباطبا في فصل خاص بعنوان « عيار الشعر » عن المقاييس والمعايير التي يمكن بواسطتها الحكم على الشعر وتمييز جيده من رديئه •

وأول معيار يعرف به الشعر الجيد من الردىء هو العقل الثاقب والفهم الواعي المدرك لأسرار الجمال ومواطن القوة فهذا الفهم الثاقب هو الحكم والمعيار الدقيق لمعرفة جيد الشعر من رديئه (٣) (وعيار الشعر أن يورد على الفهم الثاقب فما قبله واصطفاه فهو واف ومامجه ونفاه فهو ناقص) ولكن ما الميزات والعلامات التي تجعل الشعر جيداً ومن ثم تجعل الفهم الثاقب يقبله ؟ يقول ابن طباطبا مجيباً على هذا التساؤل (والعلة في قبول الفهم الناقد الشعر الحسن الذي يرد عليه ونفيه القبيح منه

---

(١) اساس البلاغة ص ٣١٨
(٢) المعجم الوسيط ٢/٦٤٥
(٣) عيار الشعر ص ١٤

واهتزازه لما يقبله وتكرهه لما ينفيه أن كل حاسة من حواس البدن إنما تقبل ما يتصل بها مما طبعت له إذا كان وروده عليها وروداً لطيفاً باعتدال لاجور وبموافقة لامضادة معها فالعين تألف المرأى الحسن وتقذى بالمرأي القبيح الكريه والأنف يقبل المشم الطيب ويتأذى بالمنتن الخبيث والفم يلتذ بالمذاق الحلو ويمج البشع المر والأذن تتشوف للصوت الخفيض الساكن وتتأذى بالجهير الهائل واليد تنعم بالملمس اللين الناعم وتتأذى بالخشن المؤذي والفهم يأنس من الكلام بالعدل الصواب الحق والجائز المعروف المألوف ويتشوف إليه ويتجلى له ويستوحش من الكلام الجائر الباطل والمحال المجهول المنكر وينفر منه ويصدأ له •••) ومن هذا النص يتضح أن قبول الفهم الثاقب للشعر له علة وسبب موضوعي عنده وهو الاعتدال والصواب وأن رفضه له ناتج عن كونه جائراً باطلا مجهولا •

ونعود مرة أخرى لنقول : متى يكون الشعر عدلا صواباً حتى يقبله الفهم ؟ هل هناك مقياس وطريقة لمعرفة الشعر الصواب الذي يقبله الفهم ؟

يجيب ابن طباطبا على ذلك قائلا (فإذا كان الكلام الوارد على الفهم منظوماً مصفى من كدر العي مقوماً من أود الخطأ واللحن سالماً من جور التأليف موزوناً بميزان

الصواب لفظاً ومعنى وتركيباً اتسعت طرقه ولطفت موالجه فقبله الفهم وارتاح له وأنس به وإذا ورد عليه على ضد هذه الصفة وكان باطلا محالاً مجهولا انسدت طرقه ونفاه واستوحش عند حسه به وصدىء له وتأذى به كتأذي سائر الحواس بما يخالفها على ما شرحناه ...) ومن هذا النص نعرف الأسباب التي يراها كفيلة بجعل الفهم الثاقب يقبل الشعر أو يرفضه وهي :

١ ـ اعتدال الوزن .

٢ ـ صواب المعنى .

٣ ـ حسن الألفاظ .

ثم يعقب على ذلك بقوله (وعلة كل حسن مقبول الاعتدال كما أن علة كل قبيح منفي الاضطراب ..) .

فإذا اجتمعت هذه الأمور في الشعر كان ذلك سبباً لقبوله وإذا نقص منها شيء أدى إلى ضعف الشعر واضطرابه (١) (وللشعر الموزون ايقاع يطرب الفهم لصوابه وما يرد عليه من حسن تركيبه واعتدال أجزائه فاذا اجتمع للفهم مع صحة وزن الشعر صحة المعنى وعذوبة اللفظ فصفا مسموعه ومعقوله من الكدر تم قبوله واشتماله عليه ...) .

---

(١) عيار الشعر ص ١٥

ثم يشبه القصيدة المتكاملة بالغناء المطرب الرائع الذي لابد لنجاحه من اجتماع اللحن الجميل والكلمات الرائعة والصوت العذب ويقول (ومثال ذلك الغناء المطرب الذي يتضاعف له طرب مستمعه المتفهم لمعناه ولفظه مع طيب ألحانه فأما المقتصر على طيب اللحن منه دون ماسواه فناقص الطرب وهذه حال الفهم فيما يرد عليه من الشعر الموزون مفهوماً أو مجهولا ...) .

وبعد أن شرح متى يكون الشعر جيداً ؟ والعلة في قبول النفس له تحدث عن تأثير هذا الشعر في النفس وعن نتيجة وآثار هذا التأثير فقال (١) (فإذا ورد عليك هذا الشعر اللطيف المعنى الحلو اللفظ التام البيان المعتدل الوزن مازج الروح ولازم الفهم وكان أنفذ من نفث السحر وأخفى دبيباً من الرقى وأشد اطراباً من الغناء فسل السخائم وحلل العقد وسخى الشحيح وشجع الجبان وكان كالخمر في لطف دبيبه وإلهائه وهزه واثارته ...) فالشعر له تأثير نفسي كبير خصوصاً إذا كان من الشعر الذي اكتملت أركانه .

وقد قارن الدكتور محمد زغلول سلام بين أثر الشعر عند ابن طباطبا وأثره عند أرسطو فقال (٢) (كأن ابن

---

(١) عيار الشعر ص ١٦

(٢) تاريخ النقد العربي ١/١٦٥

طباطبا يرى أن سر اللذة في الشعر ناجم من عمل أو حدث نفسي ويقرب هذا الفهم لدور الشعر في النفس من قول أرسطو في دور المأساة في النفس إذ يرى أنها تطهر النفس عن طريق تخليصها من الأحاسيس والانفعالات الضارة وذلك التطهير الذي ارتآه أرسطو بالنسبة للمأساة قريب من سل السخائم الذي ارتآه ابن طباطبا) .

والمعيار الثاني : الذي وضعه ابن طباطبا لمعرفة الشعر الجيد من الرديء هو مطابقة هذا الشعر وملاءمته للحالة التي يقال فيها . ومطابقة الكلام للحال من النواحي البلاغية الهامة فإن الشعر إذا جاء ملائماً للموقف الذي قيل فيه كان له تأثير كبير على السامع إذ يجد من نفسه الاستعداد للتفهم والتذوق والاهتزاز للشعر الجميل الذي يوافق هوى في النفس وميلا وفي ذلك يقول (١) (ولحسن الشعر وقبول الفهم إياه علة أخرى وهي موافقته للحال التي يعد معناه لها كالمدح في حال المفاخرة وحضور من يكبت بانشاده من الأعداء ومن يسربه من الأولياء وكالهجاء في حال مباراة المهاجي والحط منه حيث ينكي به استماعه له وكالمراثي في حال جزع المصاب وتذكر مناقب المفقود عند تأبينه والتعزية عنه وكالاعتذار والتنصل من الذنب عند سل سخيمة المجني عليه المعتذر إليه وكالتحريض على

(١) عيار الشعر ص ١٦

القتال عند التقاء الأقران وطلب المغالبة وكالغزل والنسيب عند شكوى العاشـــق واهتياج شـــوقه وحنينه الى من يهواه •••) •

هذان هما المقياسان اللذان ذكرهما ابن طباطبا لمعرفة الشعر الجيد من ضده وقد ذكر مقاييس أخرى في مواضع متفرقة من كتابه ومن أهم هذه المقاييس اقتراب القصيدة من الرسالة حيث ان القصيدة الجيدة عنده إذا حلت نثراً تبقى قوية المعنى وفي ذلك يقول (١) (من الأشعار أشعار محكمة متقنه أنيقة الألفاظ حكيمة المعاني عجيبة التأليف اذا نقضت وجعلت نثراً لم تبطل جودة معانيها ولم تفقد جزالة ألفاظها •••) •

والمعروف أن ابن طباطبا قد شبه القصيدة بالرســالة في مواضع أخرى من كتابه وجعل الفرق بينهما في الوزن (فالشعر رسائل معقودة والرسائل شعر محلول) •

ومن معايير الجودة عنده أن توضع كل كلمه من القصيدة في موضعها المناسب (٢) (وأحسن الشعر ما توضع فيه كل كلمة موضعها حتى تطابق المعنى الذي أريدت له ويكون شاهدها معها لاتحتاج إلى تفسير من غير ذاتها •••) •

---

(١) عيار الشعر ص ١٢٧
(٢) عيار الشعر ص ١٢٧

ومع أن هذه المعايير التي ذكرها تفيد القارىء في معرفة جيد الشعر من رديئه إلآ أنه يعترف بأن الناس يختلفون فيما يختـــارونه من أشـــعار فلكل ذوق وميل خاص به والأشعار الجيدة تتفاوت أيضاً في درجة الجودة (والشعر على تحصيل جنسه ومعرفة اسمه متشابه الجملة متفاوت التفصيل بل مختلف كاختلاف الناس في صورهم وأصواتهم وعقولهم وحظوظهم وشمائلهم وأخلاقهم فهم متفاضلون في هذه المعاني وكذلك الأشعار هى متفاضلة في الحسن على تساويها في الجنس ومواقعها من اختيار الناس اياها كموقع الصور الحسنة واختيارهم لمـــا يستحسنونه منها ولكل اختيار يؤثره وهوى يتبعه وبغية لايســـتبدل بهـــا ولا يؤثر سواها ...) .

البناء الفني للقصيدة

اهتم ابن طباطبا في كتابه عيار الشعر بالبناء الفني للقصيدة فتحدث عن الأمور الكفيلة بجعل القصيدة سوية مستقيمة مقبولة في مواضع مختلفة من كتابه بل إن حديثه عن الوحدة الفنية للقصيدة يعتبر من أهم الآراء النقدية التي جاء بها في كتابه حيث كان حديثه هذا سبقاً أدبياً الى فهم واع دقيق للوحدة الفنية في الشعر قل أن نجد له مثيلا في كتب النقد العربي السابقة واللاحقة له مما جعل كثيراً من النقاد المحدثين يعجبون بكلام ابن طباطبا وفهمه الدقيق وفي ذلك يقول الدكتور محمد غنيمي هلال (١) (لعل أروع ما تنعكس فيه نظرية الوحدة العضوية لأرسطو في النقد العربي هو قول ابن طباطبا : وأحسن الشعر ماينتظم القول فيه انتظاما ...) ويقول الدكتور شوقي ضيف (٢) (وكأن ابن طباطبا تنبه في دقة إلى ما ردده — ولايزال يردده — النقاد في عصرنا من فكرة الوحدة العضوية ولعل الغريب حقاً أن أصحاب النقد والبلاغة بعد ابن طباطبا لم يتوسعوا في هذا الموضوع ...) ويقول الدكتور أحمد بدوي (٣) (وإذا كان ابن طباطبا قد دعا

(١) النقد الأدبي الحديث ص ٢١

(٢) البلاغة تطور وتاريخ ص ١٢٧

(٣) من النقد والأدب ١٤٨/٥

إلى أن يضع الشاعر بين أبياته ما يربط بين هذه الأبيات حتى تتسق القصيدة فذلك لأنه دعا إلى وحدة القصيدة دعوة حارة وهو في ذلك يشبه آراء النقاد المحدثين ••) •

والوحدة الفنية للقصيدة موضوع نقدي هام وقديم في النقد الأدبي وقـد بدأ الحديث عنه أفلاطون ثم تلميذه أرسطو في كتابه « فن الشعر » حيث دعا إلى أن يكون العمل الأدبي وحدة عضوية مترابطة لا مجموعة أعمال من غير ترابط عضـوى بينها وقال (١) (يجب أن يكون العقل واحداً تاماً وأن تؤلف الأجزاء بحيث اذا نقل أو بتر جزء انفرط عقد الكل وتزعزع لأن ما يمكن أن يضـاف أو أن لا يضـاف دون نتيجة ملموسـة لايكون جزءاً من الكل •••) ومن الملاحظ أن أرسـطو قد تحدث عن هذه الوحدة في المـآسي لافي الشعر الغنائي •

وانتقل الحديث عن الوحدة العضوية الى النقد الروماني عندما ردد هوراس آراء أرسطو في قصيدته « فن الشعر » التي كتبها لأسرة آل بيزو الرومانية أما في النقد العربي قبل ابن طباطبا فلا نجد اشارة إليها أو إلى طريقة فنية تقرب منها وإن كان الجاحظ قد أشار إلى تلاحم الأجزاء في القصيدة بقوله (٢) (أجود الشـعر ما رأيته متلاحم

---

(١) فن الشعر لأرسطو ترجمة د عبد الرحمن بدوي ص ٤٦
(٢) البيان والتبيين ١/٦٧

الأجزاء سهل المخارج فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغاً واحداً وسبك سبكاً واحداً وجرى على اللسان كما يجرى الدهان •••) أما حديث ابن طباطبا عن الوحدة الفنية للقصيدة فقد جاء واضحاً ومفصلا ويمكن اجماله فيما يأتي •

١ ـ تحدث عن الملاءمة بين الألفاظ والمعاني وحسن التركيب واعتدال الأجزاء وتهذيب القصيدة وتنقيتها من الشوائب مشبهاً الشاعر بالنساج تارة والنقاش وناظم الجوهر تارة أخرى •

٢ ـ حث الشعراء على العناية بمطالع القصائد وافتتاحياتها لتكون أقرب إلى ذهن السامع وأحرى بالقبول منه كما حث على الاهتمام بحسن التخلص والانتقال من غرض إلى غرض بلباقة وحذق حتى لا تتقطع أجزاء القصيدة التي قال عنها (١) (ان لها فصولا كفصول الرسائل فيحتاج الشاعر الى أن يصل كلامه على تصرفه في فنونه صلة لطيفة فيتخلص من الغزل الى المديح ومن المديح الى الشكوى ••• بألطف تخلص وأحسن حكاية بلا انفصال للمعنى الثاني عما قبله بل يكون متصلا به ممتزجاً معه) •

---

(١) عيار الشعر ص ٧

٣ ـ في آخر الكتـــاب عقـــد فصـــلا بعنوان « تأليف الشعر » أوضـــح فيه آراءه حول الوحدة الفنية فدعا الشاعر إلى الاهتمام بتنسيق الأبيات وحسن تجاورها ومجانبة الحشو الذي لا فائدة منه (١) (وينبغي للشاعر أن يتأمل تأليف شعره وتنســـيق أبياته ويقف على حسن تجاورها أو قبحه فيلائم بينها لتنتظم له معانيها ويتصل كلامه فيها ولايجعل بين ماقد بدأ وضعه وبين تمامه فصلا من حشـــو ليس من جنس ماهو فيه فينسى الســـامع المعنى الذي يسوق القول اليه كما أنه يحترز من ذلك في كل بيت فلا يباعد كلمة عن أختهـــا ولايحجز بينها وبين تمامها بحشو يشينها ويتفقد كل مصراع هل يشاكل ما قبله ...) .

٤ ـ وضع ميزاناً لوحدة القصيدة وترابطها وهو عدم امكانية التقديم والتأخير فيها فالقصيدة المنسقة المترابطة لايمكن أن تقدم أو تؤخر فيها لأن ذلك يخل بتناسقها وترابطها أما القصيدة التي لاترابط بين أبياتها بل كل بيت لاعلاقة له بالآخر فيمكن أن نقدم أو نؤخر من غير أن يشعر القارىء بذلك وفي

---

(١) عيار الشعر ص ١٢٤

ذلك يقول (١) (وأحسن الشعر ماينتظم القول فيه انتظاماً ينسق به أوله مع آخره على ماينسقه قائله فإن قدم بيت على بيت دخله الخلل ...) .

٥ — شبه القصيدة المتكاملة بالرسالة والخطبة المترابطة الأجزاء فكما أن الرسالة المنسقة المنظمة لا يمكن أن نقدم فيها ونؤخر من غير اخلال بها فكذلك القصيدة فعلى الشاعر (٢) (أن يسلك منهاج أصحاب الرسائل في بلاغاتهم وتصرفهم في مكاتباتهم فإن للشعر فصولا كفصول الرسائل ...) .

٦ — أوجب أن تكون القصيدة كالكلمة الواحدة في ترابطها وتلاحم أجزائها فقال (٣) (بل يجب أن تكون القصيدة كلها كالكلمة الواحدة في اشتباه أولها بآخرها نسجاً وحسناً وفصاحة وجزالة ألفاظ ودقة معان وصواب تأليف ويكون خروج الشاعر من كل معنى يضعه إلى غيره خروجاً لطيفاً على ما شرحناه في أول الكتاب حتى تخرج القصيدة كأنها مفرغة افراغاً كالأشعار التي استشهدنا بها في

(١) عيار الشعر ص ١٢٦
(٢) عيار الشعر ص ٦
(٣) عيار الشعر ص ١٢٦

الجودة والحسن واستواء النظم لاتناقض في معانيها ولا وهي في مبانيها ولا تكلف في نسخها تقتضي كل كلمة مابعدها ويكون مابعدها متعلقاً بهـا مفتقراً إليهـا ...) .

وبعد أن عرفنا آراءه في بناء القصـيدة لابد لنا من التساؤل حول هذه الآراء هل تتفق مع ما يقوله دعاة الوحدة العضوية في الشعر وهل تتناقض مع عمود الشعر العربي ؟

أما مدى اتفاقها مع ما يقال عن الوحدة العضوية فقد عرضنا سلفاً آراء عدد من نقادنا المعاصرين في كلام ابن طباطبا هذا وكيف أنهم اعتبروه قريباً من المقصود بالوحدة وفهماً جيداً لها . ومع ذلك فلابد أن نلاحظ فروقاً بين الوحدة كما حددها أرسطو ومن أخذ بآرائه وبين الوحدة التي تحدث عنها ابن طباطبا .

فابن طباطبا يهمه أن تكون القصيدة متناسقة مترابطة الأجزاء وأن يجيد الشاعر الانتقال من غرض إلى غرض فالقصـيدة عنده متعددة الأغراض والربط بين الأجزاء عمل عقلي صناعي يعمد إليه الشاعر كخطوة من خطوات العمل الشعري بينما يرى أرسطو أن الوحدة تقتضي (أن يكون الفعل واحداً تاماً) فلا تعدد في موضوعات القصيدة .

أما الأمر الثاني وهو هل هناك تناقض بين مادعا إليه ابن طباطبا من وحدة القصـيدة وبين ما يقتضيه عمود

الشعر من تعدد الأغراض فاعتقد أنه لاتعارض لأن ابن طباطبا لاينكر تعدد الأغراض في القصيدة بل يدعو إلى الترابط بين الأجزاء واجادة الانتقال من غرض الى غرض فتعدد الأغراض موجود ومعترف بـه عنـده لأنه يقول (فيتخلص الشاعر من الغزل الى المديح ومن المديح الى الشكوى ومن الشكوى الى الاسـتماحة بألطف تخلص) فالأجزاء موجودة ولكن المهم هو اجادة الربط بينها وفي ذلك يقول الدكتور محمد غنيمي هلال (١) (يرى ابن طباطبا أن مجرد وصل أجزاء القصيدة ـ علىنظامها الجاهلي فيجمعها بين الغزل والمدح أو وصف الديار والآثار والنوق ـ وحدة لها فلا يكون المعنى الثاني منفصلا عما قبلهمتى تخلص الشاعر اليه تخلصاً حسناً وان كان الواقع مغايراً للمعاني التي سبقته ولامبرر لجمعهما معاً إلآ النظام التقليدي •) •

وكلام ابن طباطبا عن الوحدة الفنية ـ وان خالف في نواح منه آراء دعاة الوحدة العضـوية ـ كلام له قيمته التاريخية فهو يدلنا على أن هناك اهتماماً قديماً بترابط أجزاء القصيدة وتنسيقها وقد قال الحاتمي ـ وهو ناقد عربي جاء بعد ابن طباطبا ـ كلاماً مشـابهاً لكلام ابن طباطبا ذكره صاحب زهر الآداب فقال (٢) (قال الحاتمي :

---

(١) النقد الأدبي الحديث ص ٢١٢

(٢) زهر الآداب ٥٩٧/٢

مثل القصيدة مثل الانسان في اتصال بعض أعضائه ببعض فمتى انفصل واحد عن الآخر وباينه في صــحة التركيب غادر الجسم ذاعاهة •••) وفي العصر الحديث اهتم النقاد العرب بالحديث عنها ومن أقدمهم الشاعر الكبير خليل مطران الذي قال في مقدمة ديوانه الذي نشره عام ١٩٠٨ م (ولا ينظر قائله إلى جمال البيت المفرد ولو أنكر جــاره وشاتم أخاه ودابر المطلع وقاطع المقطع وخالف الختام •• بل ينظر الى جمال البيت في ذاته وفي موضعه وإلى جمال القصــيدة في تركيبها وفي ترتيبها وفي تناســق معانيها وتوافقها •••) ثم فصل الحديث عنها العقاد والمــازني في نقدهما لشوقي وكذلك تحدث عنها عبد الرحمن شكري في مقدمات دواوينه وشعراء مدرسة ابولو ثم أصــبحت من القضايا الأصيلة في كتب النقد الأدبي الحديث •

مطالع القصائد :

تحدث ابن طباطبا عن مطالع القصائد وأهميتها والأمور التي يجب على الشــاعر الحاذق أن يتجنبهــا في مطلع قصيدته •

ومطلع القصيدة له أهمية كبيرة فهو أول ما يلقى على السامع أو يقرأ من القصائد فإذا كان رائعاً موفقاً شــد انتباه السامع وملك عليه مشاعره ونال من إعجابه الشيء

الكثير وإن كان سيئاً غير موفق صدم القارىء وصرفه عن القصيدة حتى ولو كانت الأبيات التالية جيدة المعنى جميلة التعبير •

وقد حذر ابن طباطبا الشاعر من مجموعة أمور تسيء إلى مطلع القصيدة وتضعفه فحذره أولا (١) (مما يتطير به أو يستجفى من الكلام والمخاطبات) وأورد أمثلة مختلفة لذلك ثم حذره من (التشبيب بمن يوافق اسمها اسم بعض نساء الممدوح من أم أو غيرها وكذلك ما يتصل به سببه أو يتعلق به همه) وأورد مثالا على ذلك قصة أرطأة ابن سهية الشاعر مع عبد الملك بن مروان عندما أنشده قوله :

رأيت الدهر يأكل كل حي
كأكل الأرض ساقطة الحديد

وماتبغي المنية حين تغدو
سوى نفس ابن آدم من مزيد

وأحسب أنها ستكر يوماً
توفي نذرها بأبي الوليد

فقال له عبد الملك : ماتقول ثكتلك أمك ؟ فقال : أنا أبو الوليد يأمير المؤمنين وكان عبد الملك يكنى بأبي الوليد

---

(١) عيار الشعر ص ١٢٢

فلم يزل يعرف كراهة شـــعره في وجه عبد الملك إلى أن مـــات •

كما ينبه الشـــاعر الى عدم التصريح بما يستبشع من الأمور أو ما يكرهه المخاطب واذا اضطر الى ذلك فعليه أن يعمد الى الكناية والرمز والالتفات أو أية وسيلة أخرى تلطف الموضوع (وإذا مر له معنى يستبشع اللفظ به لطف في الكناية عنه وأجل المخاطب عن استقباله بما ينكره منه وعدل اللفظ عن كاف المخاطبة إلى ياء الاضافة الى نفسه ان لم ينكر الشعر أو احتال في ذلك بما يحترز به مما ذممناه ويوقف به على أرب نفسه ولطف فهمه ••) •

وهكذا يدل الشاعر على كل ما يكفل لقصـــيدته قبولا حسناً من السامع وما يجنبها سوء الطالع وبشـــاعة الواقع على النفس •

مراحل العمل الأدبي

لاحظ ابن طباطبا بفكره الثاقب وتجربته الحية كشاعر يمارس نظم الشعر ويعايش التجربة الأدبية منذ أن كانت فكرة وخـــاطراً في الذهن إلى أن تمت القصـــيدة جيدة متناسقة متكاملة ــ لاحظ المراحل التي تمر بها القصيدة قبل أن تتم وتستوي •

وهذه المراحل التي ذكرها قد لايمر بها كل شاعر ولكنها هي الخطة المثلى لنظم الشعر في نظره وفي ذلك يقول (١) (فاذا أراد الشاعر بناء قصيدة محض المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثراً وأعد له ما يلبسه اياه من الألفاظ التي تطـابقه والقوافي التي توافقه والوزن الذي يسلسل له القول عليه فإذا اتفق له بيت يشاكل المعنى الذي يرومه أثبته وأعمل فكره في شغل القوافى بما تقتضـيه من المعانى على غير تنسيق للشعر وترتيب لفنون القول فيه بل يعلق كل بيت يتفق له نظمه على تفاوت ما بينه وبين ما قبله فإذا كملت له المعاني وكثرت الأبيات وفق بينها بأبيات تكون نظاماً لها وسلكاً جامعاً لمـا وهى منها ويبدل بكل لفظة مستكرهة لفظة سهلة نقية ••• ويكون كالنساج الحاذق الذي يفوف وشـيه بأحسن التفويف ويسـديه وينيره ولا يهلهل شيئاً منه فيشينه وكالنقاش الرقيق الذي يضع الأصباغ في أحسن تقاسيم نقشه وكناظم الجوهر الذي يؤلف بين النفيس منها والثمين الرائق ولا يشين عقوده بأن يفاوت بين جوهرها في نظمها وتنسيقها) •

ونستنتج من هذا النص أن الانتاج الشعري يمر بأربع مراحـل :

---

(١) عيار الشعر ص ٥

١ ــ الفكرة وخطور المعنى في الذهن تترا وما يتم بعد ذلــك من التفكير في الألفــاظ المناســبة والوزن والقافية •

٢ ــ التعبير عن هذه الفكرة بأبيات متفرقة حســبما يخطر في الذهن من غير تنسيق ولاترتيب •

٣ ــ التنسيق والترتيب : يعود الشاعر إلى هذه الأبيات المبعثرة المفرقة فينســق بينها ويسلسلها وينظم أبياتاً تكون رابطاً لها وسلكاً جامعا لمــا تشــتت منهــا •

٤ ــ التثقيف والتهذيب : يعود إلى القصيدة بعد ذلك فيهذبهــا وينقحها ليخرجها في صورتهــا النهائية كاملة سالمة من الشوائب •

ويلاحظ على هذه المراحل ما يلي :

١ ــ ليس كل الشــعراء يمرون بهذه المراحل فالبعض منهم لايهذب شعره ويثقفه بل يرســل الشعر على سجيته ولايعود إليه •

٢ ــ في هذه المراحل تقسيم صناعي للعملية الشعرية وإلآ فان الشاعر الحاذق تتكون في ذهنه القصيدة متكاملة فتأتي ألفاظهــا ووزنها بشــكل

طبيعي لاتصنع فيه بل إن كثيراً من الشعراء الموهوبين ينظمون الشعر فيما يشبه الغيبوبة والحلم والفصل بين الفكرة والتعبير عنها أمر يدعو إلى الملاحظة ٠

وقد قارن الدكتور محمد زغلول سلام بين خطوات العمل الأدبي عند ابن طباطبا ومراحله عند بعض النقاد الأوربيين المحدثين ولاحظ أن هناك تشابهاً وتقارباً بين ابن طباطبا وجاريت في كتابه (فلسفة الجمال) ودريدن ويقول (١) (ويرى دريدن قريباً مما ارتآه ابن طباطبا من مراحل الخلق الأدبي وعنده أن أول مايحدث عند الشاعر هو الاهتداء الى الفكرة ثم التخيل للمعاني المختلفة المتصلة بهذه الصورة والثالثة هي مرحلة التعبير أو إلباس هذه المعاني والأخيلة ثوب اللفظ ٠٠٠) ٠

ثقافة الشاعر

أصبح الشاعر في العصر العباسي رجلا مثقفاً مطلعاً وأوجب النقاد على من يريد أن يكون شاعراً فحلا أن يلم بعلوم اللغة والأدب والتاريخ ـ بعد وجود الموهبة ـ وعلوم أخرى كثيرة بالغ بعض النقاد فيها واقتصر بعضهم على ماله علاقة مباشرة بالشعر ٠

---

(١) النقد العربي الحديث ص ٧٧

وقد تحدث ابن طباطبا في مطلع كتـــابه عن الأدوات التي يجب أن يعرفها الشاعر قبل ممارسته الشعر والخوض في غماره وهي أدوات وعلوم متعددة منها ما يتعلق بعلوم اللغة والبراعة في فهم إلاعراب ومنها ما يتعلق بالشـــعر وروايته وحفظ جيده والوقوف على طريقة العرب في النظم وخصائص الأساليب العربية وقد ركز على هذه لاتصالها المباشر بالشعر ولذلك بنى كتابه على الاكثار من الأمثلة الجيدة ليقتدي بها الشـــاعر الناشىء بل ألف لهذا الغرض كتـــاب تهذيب الطبع الذي جمع فيه طـــائفة مختارة من الشعر العربي (١) (ليرتاض من تعاطى الشـــعر بالنظر فيه ويسلك المنهاج الذي سلكه الشعراء ويتناول المعاني اللطيفة كتناولهم إياها فيحتذي على تلك الأمثلة في الفنون التي طرقوا أقوالهم فيها •••) •

ومنها معرفة أيام العرب وأنسابهم ومناقبهم ومثالبهم لمـــا للتاريخ من علاقة وثيقة بالشعر •

وختم الحديث عن هذه الأدوات والعلوم بقوله (وجماع هذه الأدوات كمال العقل الذي تتميز به الأضداد ولزوم العدل وإيثار الحسن واجتناب القبح ووضـــع الأشـــياء مواضعها •••) •

---

(١) عيار الشعر ص ٧

اللفظ والمعنى وأقسام الشعر

من القضـــايا البارزة في النقد الأدبي قديماً وحديثاً قضية اللفظ والمعنى •

وقد انقسم النقاد العرب حيالها إلى ثلاثة أقســـام : أنصار اللفظ وأنصار المعنى وقسم ثالث يرى أن الفصل بين اللفظ والمعنى من الخطأوأن التكامل بينهما هو الأمر الواجب والمطلوب في النص الأدبي •

وقد سبق ابن طباطبا نقاد كثيرون تحدثوا عن اللفظ والمعنى كما أن النقـــاد الذين جاءوا من بعده توســـعوا في هذا الموضوع وكشفوا عن جوانب جديدة فيه كما حدث لعبد القاهر الجرجاني الذى توصل إلى (نظرية النظم) وهي النظرية التي تحكم العلاقة بين اللفظ والمعنى •

وقد تحدث ابن طباطبا عن هذه القضية في مواضـــع متفرقة من (عيار الشعر) ومن مجموعها نستطيع أن نكوّن فكرة واضحة عن موقف ابن طباطبا من هذه القضية •

وقد سار على طريقة أكثر النقاد العرب الذين يفصلون بين اللفظ والمعنى ويرون أنهمـــا أمران متقـــابلان وهذا الفصل عملية صـــناعية الهدف منها الايضـــاح ووضـــع المقاييس الخاصة بكل قسم على حدة •

ومع فصله بين اللفظ والمعنى إلآ أنه يرى وجوب التكامل بينهما لأنهما مترابطان ترابطاً وثيقاً ومن ثم يشبه المعنى بالروح واللفظ بالجسد •

وعند حديثه عن المراحل التي يمر بها النص الشعري فصل بين التفكير وبين التعبير الشعري عنه وقال (١) (فاذا أراد الشاعر بناء القصيدة محض المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثراً ••• وأعدله ما يلبسه إياه من الألفاظ التي تطابقه والقوافي التي توافقه والوزن الذي يسلس له القول عليه •••) •

ثم أوجد مقابلات بين اللفظ والمعنى فاللفظ معرض للمعنى والمعنى روح وللفظ جسد له والألفاظ كسوة المعاني •

وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال هو هل ابن طباطبا من أنصار اللفظ أم من أنصار المعنى ؟ ونتيجة لفصله بينهما هل رجح جانباً على آخر ؟

الواقع أن ابن طباطبا قد اهتم بالطرفين معاً فللمعنى قيمته وللفظ قيمته والقيمة الحقيقية للنص الأدبي ناتجة عن اجتماعهما وتوافقهما وقد أوضح رأيه هذا بقوله (٢)

---

(١) عيار الشعر ص ٥
(٢) عيار الشعر ص ٨

(وللمعاني ألفاظ تشاكلها فتحسن فيها وتقبح في غيرها فهي لها كالمعرض للجارية الحسناء التي تزداد حسناً في بعض المعارض دون بعض وكم من معرض حسن قد ابتذل على معنى قبيح ألبسه) فالمعنى وحده لايكفي فقد يعاب بمعرضه القبيح وجمال اللفظ وحده لايكفي فقد يبتذل لمعنى قبيح لايستحق هذا الجمال اللفظي (والكلام الذي لامعنى له كالجسد الذي لاروح فيه كما قال بعض الحكماء للكلام جسد وروح فجسده النطق وروحه معناه) •

وقد يفهم من تشبيه المعنى بالروح واللفظ بالجسد والمعرض أنه يميل الى جانب المعنى ولكن هذا الفهم غير صحيح لأن وصفه للمعنى بالروح حكاية لأمر واقع لاينكره أحد ثم إنه لم يهمل اللفظ بل أولاه عنايته أما أنصار المعنى فيركزون اهتمامهم على المعاني من غير نظر الى التعبير عنها كما يبدو ذلك واضحاً من حديث الجاحظ (١) عن أبي عمرو الشيباني •

والحقيقة أن ابن طباطبا يميل الى الملاءمة بين اللفظ والمعنى ويبدو ذلك واضحاً من حديثه عن ملاءمة مباني الشعر لمعانيه حيث يقول (٢) (فواجب على صانع الشعر

---

(١) الحيوان ٣/١٥٧

(٢) عيار الشعر ص ١٢١

أن يصنعه صنعة متقنة لطيفة مقبولة حسنة مجتلبة لمحبة السامع له والناظر بعقله اليه مستدعية لعشق المتأمل في محاسنه المتفرس في بدائعه فيحسه جسماً ويحققه روحاً أي يتيقنه لفظاً ويبدعه معنى ويتجنب إخراجه على ضـــد هذه الصفة فيكسوه قبحاً ويبرزه مسخاً بل يسوي أعضاءه وزناً ويعدل أجزاءه تأليفاً ويحسن صورته اصابة ويكثر رونقه اختصاراً ويكرم عنصره صنعاً ويفيده بالقبول رقة ويحصنه جزالة ويدنيه سلاسة وينأى به اعجازاً ويعلم أنه نتيجة عقله وثمرة لبه وصورة علمه الحاكم عليه أوله) كما أنه يرجع تأثير الشعر في النفس وســـلبه للب الى تكامل مقوماته اللفظية والمعنوية ويشبهه بالغناء المطرب ويقول (١) (اذا اجتمع للفهم مع صحة وزن الشعر صحة المعنى وعذوبة اللفظ فصفا مسموعه ومعقوله من الكدر تم قبوله له واشـــتماله عليه وإن نقص جزء من أجزائه التى يعمل بها وهى اعتدال الوزن وصواب المعنى وحسن الألفاظ كان انكار الفهم إياه على قدر نقصـــان أجزائه ومثال ذلك الغناء المطرب الذي يتضاعف له طرب مستمعه المتفهم لمعناه ولفظه مع طيب ألحـــانه فأما المقتصر على طيب اللحن منه دون ســـواه فناقص الطرب (فهو يدعو الى الاهتمام باللفظ والمعنى معاً .

(١) عيار الشعر ص ١٥

اقسام الشعر :

لم يلتزم ابن طباطبا تقسيماً معيناً للشعر كما فعل ابن قتيبة في تقسـيمه الرباعي ولم يكتف بالنظر إلى اللفظ والمعنى بـل أضـاف الى ذلك نظرات في جوانب أخرى كالنظر الى القافية والوزن •

وقد قسم الشعر في البداية إلى قسمين أساسيين :

القسم الأول : (١) (أشعار محكمة متقنة أنيقة الألفاظ حكيمة المعاني عجيبة التأليف إذا نقضت وجعلت نثراً لم تبطل جودة معانيها ولم تفقد جزالة ألفاظها •

والقسم الثاني : أشعار مموهة مزخرفة عذبه تروق الأسـماع فإذا حصـلت وانتقدت بهرت معانيها وزيفت ألفاظها ومحت حلاوتها ولم يصلح نقضها لبناء يستأنف منه) •

ثم يضع قاعدة وميزاناً لمعرفة الشعر المتقن من الشعر الزائف وهذه القـاعدة هي نثر الشـعر وحـل المنظوم فالأشعار المتقنة (إذا نقضت وجعلت نثراً لم تبطل جودة معانيها ولم تفقد جزالة ألفاظهـا) والأشـعار الزائفة إذا نثرت (لم يصلح نقضها لبناء يستأنف منه) •

---

(١) عيار الشعر ص ٧

ولو أن ابن طباطبا اقتصر على هذا التقسيم وعلى هذين النوعين لكان تقسيماً ناقصاً اذ لايتناول إلآ الأشعار المحكمة المتقنة والأشعار المزخرفة العذبة التي لامعنى تحتها ويهمل أنواعاً أخرى كالأشعار القوية المعنى الضعيفة الصياغة والمبنى وكذلك الأشعار الضعيفة المعنى والصياغة ولكن ابن طباطبا لم يكتف بهذا التقسيم بل عاد في مواضع أخرى من كتابه إلى تقسيم الشعر الى أنواع أخرى فعندما تحدث عن الأشعار المحكمة وأضدادها ذكر أنواعاً كثيرة هي :

١ ـ الأشعار المحكمة الرصف المستوفاة المعاني السلسة الألفاظ الحسنة الديباجة •

٢ ـ الأشعار التي زادت قريحة قائليها فيها على عقولهم •

٣ ـ الأبيات التي أغرق قائلوها فيما ضمنوها من المعاني •

٤ ـ الأبيات التي قصروا فيها عن الغايات التي جروا إليها •

٥ ـ القوافي القلقة في مواضعها •

٦ ـ القوافي المتمكنة •

٧ ـ الأبيات ذات الألفاظ المستكرهة النافرة الشائنة للمعاني •

٨ ــ الأبيات ذات المعاني المسترذلة الشائنة الألفاظ .

٩ ــ الأبيات الرائعة سماعاً الواهية تحصيلا .

١٠ ــ الأبيات القبيحة نسجاً وعبارة العجيبة معنى وحكمة واصابة .

هل تأثر ابن طباطبا بتقسيم ابن قتيبة للشعر :

مما لا شك فيه أن ابن طباطبا تأثر بتقسيم ابن قتيبة (١) هنا ولكن هل تابعه وقلده ؟ أم خالفه ؟ أم زاد عليه ؟

اختلفت آراء النقاد في ذلك فالدكتور شوقي ضيف يرى أن كلام ابن طباطبا يكاد يكون تفسيراً لفكرة ابن قتيبة ويقول (٢) (ويكاد الكتاب من هذا الموضع إلى نهايته يكون تفسيراً لفكرة ابن قتيبة وهو تفسير يستمد فيه من كتابات الجاحظ وما وجد بعده من أفكار في حسن البيان ومن ملاحظاته الخاصة في بعض محاسن القول) ويقول الدكتور محمد السعدي فرهود (٣) (وهذه هى ضروب الشعر عند ابن‌قتيبة وزاد عليها ابن‌طباطبا ضروباً أخرترجع عند التحقيق إلى الضروب الأربعة) أما الدكتور إحسان

---

(١) الشعر والشعراء ٦٦/١

(٢) البلاغة تطور وتاريخ ص ١٢٤

(٣) قضايا النقد الأدبي ص ٣٣

عباس (١) فيرى أنه لم يقتصر على الأقسام الأربعة التي ذكرها ابن قتيبة وأنه يصدر في حديثه عن تذوق خالص لاعلاقة له بالتقسيم المنطقي •

ويقول الدكتور محمد زغلول سلام (٢) (إنه لم يتبع ابنقتيبة اتباعاً حرفياً لاتحرر فيه بلانه أورد فهمه الخالص مع ذكر تقسيم ابن قتيبة وأمثلة أخرى مغايرة وأضـــاف الى العيوب التي تلحق بالشعر غير قبح اللفظ أو المعنى عيوباً أخرى) •

والذي يظهر أن ابن طباطبا قد استفاد إلى حد كبير من تقسيم ابن قتيبة ثم زاد عليه أقساماً أخرى مع ملاحظة هامة هى أنه لم يهتم بالأقسام بحيث يرتبها وينظمهـا بل أوردها متناثرة متداخلة في كتابه مع الاهتمام الكبير بالنماذج والأمثلة •

تقسيم آخر للشعر :

لم يكتف ابن طباطبا بالتفسيرات الســابقة بل أورد تقسيماً آخر للشعر من حيث المضمون (٣) وقد قســم الشعر بناء على ذلك إلى ثلاثة أقسام :

١ ــ الشعر الوجداني •
٢ ــ شعر الحكمة والتجارب الصادقة •
٣ ــ شعر الوصف وبيان أحوال الناس •

(١) تاريخ النقد العربي ص ١٤٠
(٢) تاريخ النقد العربي ١/١٧٤
(٣) عيار الشعر ص ١٢٠

شعر القدماء والمحدثين

اختلفت نظرة النقاد العرب إلى القدمـاء والمحدثين فبينما تعصب للقدماء طائفة من النقاد واللغويين كأبي عمرو بن العلاء وابن الأعرابي نجد طائفة أخرى تحرت الدقة والانصاف كالجاحظ الذي يقول (١) (وقد رأيت أناساً يبهرجون أشعار المولدين ويستسقطون من رواها ولم أر ذلك قط الآ في راوية للشعر غير بصـير بجوهر مايروي ولوكان له بصر لعرف موضع الجيد ممن كان وفي أي زمان كان ...) .

أما ابن طباطبا فقد كان يجل القدماء ويرى أن شعرهم هو النموذج الذي يحتذى ويسـار على منواله بل انه يدعو القارىء لأشـعارهم إلى التريث وعدم العجلة في تخطئتهم فربما خفي المعنى على القارىء لجهله بأحوالهم .

ولكن اعتزازه بأشـعار القدماء لم يصرفه عن أشـعار المحدثين وكيف يكون ذلك وهو شاعر محدث ينظم الشعر وينقده ولذلك فحديثه عنهم نـابع من معاناة صـادقة وتجربة حية ولذلك جاء دفاعه عنهم حاراً قوياً منصفاً .

وقد بدأ حديثه عن شـعر المحدثين بـأن اعترف بأن لهم معاني لطيفة جيدة وإن كانوا قد استفادوا أكثرها

---

(١) الحيوان ٣/١٣٠

من القدماء (١) (وستعثر في أشعار المولدين بعجائب استفادوها ممن تقدمهم فسلمت لهم عند ادعائها للطيف سحرهم فيها وزخرفهم لمعانيها) •

وحديثه عن المعاني يشعر بأن القدماء قد سبقوا المحدثين إلى كل معنى لطيف وهذا تضييق لأبواب الكلام ومناحيه على المحدثين وفهم غير دقيق فالمعاني لاتنفد ولكن المشكلة أن المحدثين تقيدوا أو قيدوا أنفسهم بمعاني القدماء وأخذوا ــ أو أكثرهم ــ يعيدونها من غير أن يبتكروا فنتج عن ذلك الظن بأن القدماء قد سبقوهم إلى كل المعاني كما في قول ابن طباطبا (والمحنة على شعراء زماننا أشد منها على من كان قبلهم لأنهم قد سبقوا إلى كل معنى بديع •••) ولذلك كان موقفه من أخذ المعنى في باب السرقات يميل إلى التساهل مع المحدثين في أخذ معاني القدماء بشرط اجادة التعبير عنها بطريقة جديدة •

ونتج عن تسليمه بأن القدماء قد حازوا المعاني وسبقوا إليها نتيجة أخرى هي أن الشعر القديم ناتج عن طبع غير متكلف أما الشعر المحدث فشعر متكلف وقد يستغرب القارىء هذا الرأي من شاعر محدث وفي موقف الدفاع عن شعر المحدثين •

---

(١) عيار الشعر ص ٨

وبعد أن أوضح ما يمتاز به شعر القدماء من السبق إلى المعاني والصدق والطبع انتقل إلى بيان ميزات شعر المحدثين وما اختصوا به وهي :

١ ـ التلطف والتفنن في عرض المعاني في أثواب زاهية وحلل قشيبة وبأساليب منمقة جميلة صحيح أنهم استفادوها من القدماء ولكنهم طوروها وهذبوها ولذلك نبه شعراء عصره الى ضرورة الاجادة والدقة ومراجعة الأشعار قبل نشرها حتى تسلم من الخطأ لأنهم سيؤاخذون من قبل النقاد والسامعين •

٢ ـ ومن ميزات شعر المحدثين إجادتهم التخلص والانتقال من غرض إلى غرض ويرى أن حسن التخلص مما امتاز به المحدثون دون من سبقهم ولذلك تناول التخلص بباب خاص أكثر فيه من النماذج •

وحسن التخلص : موضوع من موضوعات البلاغة والنقد وقد قدم له ابن طباطبا بمقدمة قصيرة قال فيها (١) (ومن الأبيات التي تخلص بها قائلوها إلى المعاني التي أرادوها من مديح أو هجاء أو افتخار أو غير ذلك ولطفوا في صلة

---

(١) عيار الشعر ص ١١

مابعدها بها فصارت غير منقطعة عنها : ما أبدعه المحدثون من الشعراء دون من تقدمهم •••) •

ثم بين كيف أن القدماء كانوا ينتقلون من غرض الى غرض من غير عناية بحسن الانتقال أو إجادة الربط بين الأغراض وأورد بعض الأمثلة على ذلك أما المحدثون (فقد سلكوا غير هذه السبيل ولطفوا القول في معنى التخلص إلى المعاني التي أرادوها) ثم أورد سبعة وثلاثين نموذجاً لتخلص المحدثين منها أحد عشر نموذجاً للبحتري وحده •

وأحب أن أنبه هنا إلى أن قول ابن طباطبا إن التخلص مما أبدعه المحدثون من الشعراء دون من تقدمهم) قول مبالغ فيه فالشعراء المحدثون عنوا بحسن التخلص وأجادوه وتفوقوا على القدماء فيه ولكن هذا لا يعني أن القدماء جميعاً لم يعرفوه فقد أحسن بعضهم التخلص وان كان الغالب عليهم الانتقال المفاجىء •

وأحسن من هذا الرأي قول العسكري في الصناعتين عن القدماء (١) (فأما الخروج المتصل بما قبله فقليل في أشعارهم) •

---

(١) الصناعتين ص ٤٥٤

السرقـــات الأدبية

مشكلة السرقات من المشـــكلات الأدبيه البارزة التي نالت عناية كبيرة من نقادنا الأوائل وقد تطور البحث فيها على مر الزمن من ملاحظات بسيطة إلى مناهج ونظريات عامة ومن كشف لسرقات شاعر إلى وضع القواعد النقدية لدراسة السرقات بل الى تعليم الشعراء الطرق الحسنة في الأخذ والاحتذاء •

وقد ســـبق كثير من العلمـــاء ابن طباطبا إلى بحث السرقات كابن سلام وابن قتيبة وجاء بعده علماء طوروا البحث في السرقات كالآمدي في الموازنة والقاضي الجرجاني في الوساطة والعسكرى في الصناعتين وابن رشـــيق في العمدة وعبد القـــاهر في دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة وابن الأثير في المثل السائر •

وإذا عدنا الى ابن طباطبا وآرائه في السرقات فسنجد أن منهجه في دراستها يعتمد على الأسس التالية :

١ ــ لايضيق على الشعراء المحدثين في موضوع السرقة انطلاقاً من رأيه في القدماء والمحدثين فهو يرى أن القدماء قد استوفوا الحديث عن المعاني المختلفة ولذلك فهو لايتشدد في مجال أخذ المعنى •

٢ ـ ونتيجة لذلك أباح للشعراء المحدثين الاقتداء بأشعار الأقدمين الحسنة والاقتداء لايعني السرقة بل التأثر والاحتذاء والسير على منوالهم وهذا فهم دقيق لموقف الشاعر من تراث السابقين فهو لايغير عليه ويسرقه بل يتفهمه ويتعمق معانيه ثم يقتدي به ويتأثر ثم ينتقل بعد ذلك إلى مرحلة الابداع ولذلك اختار للشعراء طائفة من الأشعار الجيدة في عيار الشعر ثم توسع في الاختيار في كتابه الآخر « تهذيب الطبع » وفي ذلك يقول (١) (ولايغير على معاني الشعر فيودعها شعره ويخرجها في أوزان مخالفة لأوزان الأشعار التي تناول فيها ما تناول ويتوهم أن تغييره للألفاظ والأوزان مما يستر سرقته أو يوجب له فضيلة بل يديم النظر في الأشعار التي اخترناها لتلتصق معانيها بفهمه وترسخ أصولها في قلبه وتصير مواد لطبعه ويدرب لسانه بألفاظها فإذا جاش فكره بالشعر أدى اليه نتائج ما استفاده لما نظر فيه من تلك الأشعار فكانت تلك النتيجة كالسبيكة مفرغة من جميع الأصناف التي تخرجها المعادن وكماء قد اغترف من واد مدته سيول جارية من

---

(١) عيار اشعر ص ١٠

شعاب مختلفة وكطيب تركب من أخلاط من الطيب كثيرة فيستغرب عيانه ويغمض مستبطنه) •

٣ ـ يحدد السرقة المذمومة بأنها الاغارة على أشعار السابقين وتغيير أوزانها أو بعض الألفاظ ثم التوهم أن ذلك يخفي السرقة على السامع ويوجب فضيلة قول الشعر واختراع المعنى أو السبق اليه •

٤ ـ لايعد من السرقة أخذ المعنى والزيادة عليه أو ابرازه في معرض أحسن من معرضه السابق لأن الشاعر قد تصرف في المعنى بالزيادة والتنقيح (١) (واذا تناول الشاعر المعاني التي سبق اليها فأبرزها في أحسن من الكسوة التي عليها لم يعب بل وجب له فضل لطفه واحسانه فيه •••) •

٥ ـ ثم وضع بعد ذلك قواعد الأخذ الحسن وقدم لها بقوله (٢) (ويحتاج من سلك هذه السبيل إلى إلطاف الحيلة وتدقيق النظر في تناول المعاني واستعارتها وتلبيسها حتى تختفي على نقادها

---

(١) عيار الشعر ص ٣٦

(٢) عيار اشعر ص ٧٧

والبصراء بها وينفرد بشهرتها كأنه غير مسبوق اليها) وقد علق الدكتور احسان عباس على هذا الكلام تعليقاً لطيفاً فقال (١) (ان من يعلم الشاعر كيف يصنع قصيدته بيتاً بيتاً بل كلمة كلمة لابد له من أن يعلمه طريقة من السرقة لايناله فيها الحد •••) •

وقد وضع للأخذ الحسن قواعد هي :

(أ) استعمال المعاني المأخوذة في غير الجنس الذي أخذت منه •

(ب) نظم المنثور والاستفادة من الخطب والرسائل والأمثال •

(ج) الطاف الحيلة في الأخذ بحيث تخفى وتدق •

(د) وربما أخذ الشاعر من نفسه فيورد أبياتاً في معنى فتعجبه ولذلك يكرر هذا المعنى بعبارات مختلفة وفي مواقف متنوعة •

٦ ــ أورد أربعة أمثلة للأخذ من النثر وقد أكثر العلماء بعده من الحديث عن نظم المنثور وحل المنظوم

---

(١) تاريخ النقد ص ١٣٩

وألفت في هذه القضية كتب مستقلة ويرى الدكتور محمد مصطفى هدارة أن بن طباطبـــا (١) (أول من جعل الأخذ من النثر من السرقات الحسنة فقد لاحظ النقاد من قبله هذا النوع من الأخذ ولكنهم لم يجعلوه من بين قواعد السرقة المستحسنة ••) •

---

(١) مشكلة السرقات ص ٩٣

التشـــبيه

تحدث ابن طباطبا عن التشبيه في مواضع متفرقة من عيار الشعر وعقد فصلا خاصاً به •

وقد اهتم النقاد بحديثه عن التشـــبيه وعدوه من أهم موضوعات الكتاب ومن الدراسات المبكرة في هذا الفن الأدبي خصوصاً في مجال تقسيم التشبيه وفي ذلك يقول الدكتور شوقي ضيف (١) (ولايلبث أن يتحدث عن وجوه التشبيه وكأنه يعده جوهر الشعر ولبه ومبحثه فيه يعد أهم مبحث في الكتاب يتصل بالبلاغة وتطور البحث في مسائلها ••) ويقول الدكتور بدوى طبانة (٢) (وقد تحدث عن طريقة العرب في التشبيه وانتزاعه من بيئاتهم وحياتهم في كلام نقدي بديع) •

وسنعرض بايجاز ما قاله في التشبيه •

١ ــ طريقة العرب في التشبيه :

يلاحظ ابن طباطبا أن التشـــبيهات العربية نـــابعة من صميم البيئة ومن مشاهداتهم ومدركاتهم الحســـية ومن طبائعهم وصفاتهم الخلقية والخلقية ولذلك لابد للدارس من فهم أحوال العرب وبم كـــانوا يشـــبهون وفي ذلـــك

---

(١) البلاغة تطور وتاريخ ص ١٢٤
(٢) علم البيان ص ٥٠

يقول (١) (واعلم أن العرب أودعت أشعارها من الأوصاف والتشبيهات والحكم ما أحاطت به معرفتها وأدركه عيانها ومرت به تجـاربهم وهم أهل وبر : صـحونهم البوادي وسقوفهم السماء فليست تعدو أوصـافهم مارأوا منها وفيها •••)•

٢ـ أقسام التشبيه :

قسمه ابن طباطبا الى عدة أقسـام وهذا التقسيم يقوم في غالبه على وجه الشبه وقد لاحظ أن الشبه قد يكون في أمر واحد وقد يكون في أكثر من ذلك وقد عد من أقسامه •

(أ) تشبيه الشيء بالشيء صورة وهيئة •
(ب) تشبيه الشيء بالشيء لوناً وصورة •
(ج) تشبيه الشيء بالشيء صورة ولوناً وحركة وهيئة •
(د) تشبيه الشيء بالشيء حركة وهيئة •
(هـ) تشبيه الشيء بالشيء معنى لاصورة •
(و) تشبيه الشيء بالشيء حركة وبطءاً وسرعة •
(ز) تشبيه الشيء بالشيء لوناً •
(ح) تشبيه الشيء بالشيء صوتاً •

---

(١) عيار الشعر ص ١٠

٣ ــ أدوات التشبيه :

تحدث عن أدوات التشبيه ومتى تفضل احداها على الأخرى ملاحظاً في ذلك مدى صدق التشبيه واكتمال الوجه بين الطرفين وقال (١) (فما كان من التشبيه صادقاً قلت في وصفه كأنه أو قلت ككذا وما قارب الصدق قلت فيه تراه أو تخاله أو يكاد •••) •

٤ ــ أحسن التشبيهات :

يرى أن أحسن التشبيهات ماكان التشابه بين الطرفين فيه كاملا شاملا حتى أننا لو عكسنا التشبيه لاستقام الكلام (٢) (فأحسن التشبيهات ما إذا عكس لم ينتقض بل يكون كل شبه بصاحبه مثل صاحبه ويكون صاحبه مثله مشتبهاً به) ولايفوتنا أن نلاحظ هنا أن المشبه إذا كان مثل المشبه به في كل شيء لايصح التشبيه اذ التشبيه لايقع بين متحدين في كل الصفات وأدق من كلام ابن طباطبا قول قدامة (أحسن التشبيه هو ما وقع بين شيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها حتى يدني بهما الى حال الاتحاد •••) •

---

(١) عيار الشعر ص ٢١

(٢) عيار الشعر ص ١١

٥ ـ التشبيهات العربية :

يدافع ابن طبابا عن التشبيهات العربية الأصيلة ويرى أن مافي بعضـــها من غرابة انما مرده الى اختلاف طبيعة العصر التي تؤدي إلى عدم فهم المراد من التشــبيه على وجه الدقة لذلك يجب على الناقد اذا ورد عليه تشــبيه غريب أن يتعجل في انكاره والطعن فيه بل عليه أن يتفهم معناه ومرماه ويعلم أن العرب لهم من صفاء القريحة ورقة الطبع مايحتـــاج معه الى الروية والتفكير قبـــل الطعن والتشهير .

٦ ـ وقد أدخل في باب التشبيه ماليس منه كحديثه عن الابتداء والتعريض والاختصـــار وتعقيبه على ذلك بقوله (فهـــذه أمثلة لأنواع التشـــبيهات التي وعدنـــا بشرحهـــا) ولابد من الاشـــارة الى أن كلام ابن طباطبا حول التشبيه وان كان فيه قصـــور ونقص الآ أنه من الدراسات الرائدة في هذا المجال ولذلك (١) (لانستطيع أن نلومه في هذا التقصير فالدراسات الأسلوبيه لاتزال في مراحلها الأولى ولم يسبقه من حدد جوانب التشبيه وأركانه وضروبه ومن تفوق فيه بل كانت كل دراســـات سابقيه التي تتعرض للتشبيه تتناول جوانب منه وتغفل أخرى وربما كان هو أكثرهم تحديداً وتعديداً ...) .

(١) تاريخ النقد العربي لمحمد زغلول سلام ١٥٧/١

منهجه النقدي

تعرفنا في الفصول السابقة على آراء ابن طباطبا النقدية المختلفة والآن حان لنا أن نتساءل هل لابن طباطبا منهج نقدي معين ؟ وهل بإمكاننا أن نخرج من دراستنا لآرائه بتصور نقدي واضح ؟ وطريقة خاصة في النقد ؟

من الصـــعب جداً الاجابة على هذه التســـاؤلات لعدة أســـباب •

اولا :

أن آثـــار ابن طباطبا النقدية قليلة ولانعرف منهـــا الآكتاب « عيار الشعر » وهو كتاب صــغير أكثر مافيه الأمثلة والنماذج •

ثانيا :

أن ابن طباطبا لم يعن في كتابه بتفصيل القواعد عنايته بايراد الأمثلة وكذلك لم يعن بالتنظيم والترتيب وكل ذا ادى الى عدم وضوح منهجه النقدي •

ثالثا :

أن آراءه النقدية لم تنل حظـــاً كبيراً من الشـــهرة والانتشار •

ومع كل هذه العقبات لابد لنا من العودة الى آرائه النقدية المبعثرة ولم شتاتها في محاولة للتعرف على منهجه النقدي •

وهذا المنهج الذي سنذكره لايعني مطلقاً أن ابن طباطبا تفرد به واختص به دون سواه من النقاد بل معناه أنه كان يسير عليه ويتبعه اتباعاً لأنه ابتدعه ابتداعاً وقال فيه ابتداء فلا نريد أن نغالي في قيمة ابن طباطبا النقدية بل نقول إنه اعتمد على آراء السابقين له من النقاد وعلى آراء الجاحظ وابن قتيبة على وجه الخصوص مع تفرده ببعض الآراء التي كان سباقاً الى ايضاحها كحديثه عن الوحدة الفنية للقصيدة .

ويتلخص منهجه النقدي في الأمور التالية :

١ ــ الذوق المعلل :

يقرر ابن طباطبا أن الذوق الأدبي هو الركيزة الأولى في فهم الأدب ونقده ومعرفة أسرار الجمال فيه ولكن اعتماده على الذوق لايعني أنه من النقاد التأثريين الذين لايوردون لاستحسان الشيء أو استهجانه علة وسبباً بل يحكمون من غير تعليل وإنما يرى أن الذوق يمكن تعليله وبيان سبب استحسانه للنص الأدبي أو استهجانه ولذلك عده الدارسون من النقاد الموضوعيين (١) يقول ابن طباطبا في ذلك (٢) (فاذا كان الكلام الوارد على

(١) انظر النقد العربي الحديث ومدارسه ص ٦٦ واسس النقد الأدبي ص ٩٤

(٢) عيار الشعر ص ١٤

الفهم منظوماً مصفى من كدر العي مقوماً من أود الخطأ واللحن سالماً من جور التأليف موزوناً بميزان الصواب لفظاً ومعنى وتركيباً اتسعت طرقه ولطفت موالجه فقبله الفهم وارتاح له وأنس به وإذا ورد على ضد هذه الصفة وكان باطلا محالا مجهولا انسدت طرقه ونفاه واستوحش عند حسه به وصدىء له وتأذى به كتأذي سائر الحواس بما يخالفها على ما ترضاه • وعلة كل حسن مقبول الاعتدال كما أن علة كل قبيح منفي الاضطراب) •

٢ ـ العقل :

يرى ابن طباطبا أن نظم الشعر عمل عقلي يقتضي من الشاعر ادراكاً ووعياً وتفكيراً عميقاً وهذا رأي لايتفق معه كل الدارسين للشعر والممارسين له بل إنه يمثل مدرسة شعرية ونقدية خاصة ترى أن الشعر عمل عقلي يقتضي الغوص على المعاني والدقة في استخراجها كما هو معروف من مذهب أبي تمام ويعارض هذا الرأي من يرى أن الشعر عمل ينبع من الشعور والاحساس العميق ويعتمد على الخيال المجنح بل إن الشاعر قد ينظم وهو فيما يشبه الغيبوبة •

وقد ترتب على اعتبار ابن طباطبا للشعر عملا عقلياً عدة أشياء :

(أ) عند حديثه عن مكونات الشاعر والأمور التي يجب عليه أن يعتمد عليها قال :

وجماع هذه الأدوات كمال العقل الذي به تتميز الأضداد •

(ب) انتقاده للشعراء الذين زادت قريحتهم وغطت خيالاتهم على عقولهم بمعنى أن ينصرف الشاعر الى فنه غير ملق بالا لما يجب مراعاته في الشعر •

(ج) وضعه لخطة معينه يسير عليها الشاعر عند نظمه للقصيدة مكونة من مراحل معينة •

(ء) تقليله من شأن الخيال مع أن الخيال هو روح الشعر وكان هذا التقليل هو السبب في تعسفه في بعض أحكامه النقدية فقد علق مثلا على قول المثقب العبدي في ناقته :

تقول وقد درأت لها وضيني
أهذا دينه أبداً وديني

أكل الدهر حل وارتحال
أما يبقي عليّ ولا يقيني

قال : (١) فهذه الحكاية كلها عن ناقته من المجاز المباعد عن الحقيقة وإنما أراد الشاعر أن ناقته لو تكلمت لأعربت عن شكواها بمثل هذا القول •••) وهذا الكلام فيه حد من خيال الشاعر وقدرته على التشخيص •

٣ ـ الانصاف والعدالة :

يتضح ذلك من موقفه من القدماء والمحدثين فلم يتعصب لأي طرف بل أنصف القدماء عندما أثنى عليهم وبين مايمتاز به شعرهم من السبق الى المعاني البكر والصدق في التعبير وكذلك عندما دعا القاىء للشعر القديم الى التريث وعدم العجلة في الطعن في قدرتهم (٢) (فاذا اتفق لك في أشعار العرب التي يحتج بها تشبيه لاتتلقاه بالقبول أو حكاية تستغربها فابحث عنها ونقر عن معناها فانك لاتعدم أن تجد تحتها خبيئة اذا أثرتها عرفت فضل القوم بها وعلمت أنهم أدق طبعاً من أن يلفظوا بكلام لامعنى تحته) •

وكذلك أنصف المحدثين بتفهمه لموقفهم الصعب والمحنة التي يعيشونها بسبب سبق الأقدمين لهم إلى كثير من المعاني ثم أنصفهم ببيان خصائص شعرهم وإيراد أمثلة

---

(١) عيار الشعر ص ١٢٠

(٢) عيار الشعر ص ١١

منه ثم بيان ما انفردوا به من اجادة التخلص وحسن الانتقال ٠

٤ ـ الصدق :

أورد ابن طباطبا كلمة (الصدق) في عدة مواضع من كتابه ولمعان مختلفة والصدق في الأدب قضية تناولها الأدباء والنقاد واختلفوا فيها فمنهم من قال : أعذب الشعر أكذبه (١) ومنهم من قال : أعذب الشعر أصدقه حسب ميول الأديب والناقد ومدى فهمه لمدلول الصدق في الأدب ٠

وللصدق عدة معان منها الصدق الخلقي والصدق الفني والصدق التاريخي وقد عني النقاد بالبحث في الصدق الفني بالذات وعدوه أساساً مهماً لنجاح الأديب وشهرته وهم يعنون بالصدق الفني (٢) (أصالة الكاتب في تعبيره ورجوعه فيه الى ذات نفسه لا إلى العبارات التقليدية المحفوظة وهذا الصدق الفني أو الأصالة هو أساس تقدم الفنون جميعاً) ٠

وقد وردت كلمة الصدق عند ابن طباطبا للمعاني التالية :

---

(١) مقدمه المرزوقي لشرح الحماسة ٠

(٢) النقد الأدبي الحديث لمحمد غنيمي هلال ص ٢٢٣

(أ) الصدق الفني واخلاص الفنان في التعبير عن تجربته الذاتية يقول عند حديثه عن مطابقة الكلام للحال (١) (فاذا وافقت المعاني هذه الحالات تضاعف حسن موقعها عند مستمعها لاسيما إذا أيدت بما يجلب القلوب من الصدق عن ذات النفس بكشف المعاني المختلجة فيها والتصريح بما كان يكتم منها والاعتراف بالحق في جميعها •

(ب) الصدق التاريخي عند الحديث عن حادثة أو حكاية وفي ذلك يقول عند تقسيمه للشعر من حيث المضمون (٢) (أو تتضمن ـ أي الأشعار ـ صفات صادقة وتشبيهات موافقة وأمثالا مطابقة تصاب حقائقها •

(ج) الصدق الخلقي : وهو تجنب الكذب كنسبة الكرم الى بخيل والشجاعة إلى جبان ويرى أن هذا ميزة للقدماء على المحدثين فالقدماء أصدق في نظره من المحدثين لأن ظروف الحياة لم تكن تجبرهم على الكذب والمبالغة (من كان في الجاهلية الجهلاء وصدر الاسلام من الشعراء

---

(١) عيار الشعر ص ١٦
(٢) عيار الشعر ١٢١

كانوا يؤسسون أشعارهم في المعاني التي ركبوها على القصد للصدق فيها مديحاً وهجاءاً وافتخاراً ووصفاً وترغيباً وترهيباً الآ ما احتمل الكذب فيه في حكم الشعر من الاغراق في الوصف والافراط في التشبيه وكان مجرى ما يوردونه منه مجرى القصص الحق والمخاطبات بالصدق) والملاحظ أنه بالغ في اتهام المحدثين بالبعد عن الصدق في هذا الجانب .

(د) صدق التصوير والتشبيه : وقد تحدث عنه عدة مرات فيجب على الشاعر مثلا (أن يتعمد الصدق والوفق في تشبيهاته وحكاياته) (١) (وما كان من التشبيه صادقاً قلت في وصفه كأنه أو قلت ككذا وما قارب الصدق قلت فيه تراه وتخاله) (واذا اتفق في الشيء المشبه بالشيء معنيان أو ثلاثه معان من هذه الأوصاف قوي التشبيه وتأكد الصدق فيه) وقد علق الدكتور احسان عباس على مفهوم الصدق عند ابن طباطبا بقوله (٢) (وأول من أثار القضية بوضوح حاسم هو ابن طباطبا فقد ربط الشعر بالصدق

(١) عيار الشعر ص ٦
(٢) تاريخ النقد العربي ص ٣٤

من النواحي المختلفة : الصدق في التشبيه والصدق في المشاعر والصدق صنو التناسب الجمالي في القصيدة ...) .

٥ ـ التناسق والتناسب :

يبدو اهتمام ابن طباطبا بالتناسق والتناسب واضحاً في كل مكان من كتابه .

(أ) التناسب بين الألفاظ والمعاني (١) (وللمعاني ألفاظ تشاكلها فتحسن فيها وتقبح في غيرها فهي لها كالمعرض للجارية الحسناء التي تزداد حسناً في بعض المعارض دون بعض) .

(ب) التناسب بين الكلمة وأختها المجاورة لها (٢) (فلا يباعد ـ أي الشاعر ـ كلمة عن أختها ولايحجز بين تمامها بحشو يشينها ويتفقد كل مصراع هل يشاكله ماقبله ...) .

(جـ) التناسب بين أجزاء القصيدة بحيث تكون كالكلمة الواحدة (٣) (وأحسن الشعر ما ينتظم القول فيه انتظاماً ينسق به أوله مع آخره على

---

(١) عيار الشعر ص ٨
(٢) عيار الشعر ص ١٢٤
(٣) عيار الشعر ص ١٢٦

ما ينسقه قائله فإن قدم بيت على بيت دخله الخلل كما يدخل الرسائل والخطب إذا نقص تأليفها •) •

(د) التناســب بين القصــيدة وقافيتها بحيث تكون القافية (من القوافي الواقعة في مواضعها المتمكنةفي مواقعها) •

٦ ـ الاعتماد على التطبيق والأمثلة :

أكثر ابن طباطبا من الأمثلة والتطبيق على القواعد التي يذكرها بل إنه يكتفي أحياناً باشارة قصيرة إلى الموضوع ثم ينتقل إلى ايراد الأمثلة الكثيرة •

وهذه الأمثلة قد يعمد إلى التعليق على بعضها تعليقات قصيرة في جمل مركزة وأحياناً يذكر الأمثلة من غير شرح ولاتعليق •

فنقد ابن طباطبا ليس نقداً نظرياً يعتمد على القواعد العامة فحسب بل نقد تطبيقي يعتمد على النماذج •

ولوتيسر لنا الاطــلاع على كتابه « تهذيب الطبع » لكان لنا مجال للحديث عن اختياره ومدى توفيقه في هذا الاختيار كما أننا لو أطلعنا على كتابه (المدخل الى معرفة المعمى من الشعر) فلربما أتاح لنا ذلك معرفة قدرته على كشف المخبأ وايضاح المشكل •

وهنا أحب أن أشـــير إلى أن الآمدي النـــاقد العربي العظيم مؤلف الموازنة بين الطائيين قد ألف كتاباً يرد فيه على ابن طباطبا بعنوان « ما في عيار الشعر من الخطأ » ولكن هذا الكتاب مفقود وقد بذلت جهداً كبيراً في محاولة العثور عليه فلم أوفق ثم حاولت أن أعرف شـــيئاً عنه أو نقلا منه في الكتب الأخرى فلم أعثر على شيء من ذلك وكنت حريصاً جداً على معرفة نقد الآمدي لابن طباطبـــا لسببين •

١ ـ أن رأي الآمدي في ابن طباطبا له أهمية كبيرة لمن يدرس نقده فالآمدي عملاق من عمالقة النقد العربي ولآرائه قيمتها الكبيرة في هذا المجال •

٢ ـ أن تتبع الآمدي لنقـــد ابن طباطبـــا يدل على مـــكانة ابن طباطبا في عصر الآمدي فلو كـــان خـــامل الذكر أو ليس لآرائه قيمة لمـــا ألف الآمدي هذا الكتاب في الرد عليه •

مقارنة بين كتاب عيار الشعر
وبعض الكتب المعاصرة له

إذا أردنا أن نعرف قيمة كتاب عيار الشعر بموضوعية ودقة فإن ذلك سيتضح اذا ما قارنا بينه وبين بعض الكتب التي ألفت في نفس الفترة وكانت تتناول مسائل النقد والبيان •

وقد اخترنا للمقارنة ثلاثة كتب هي قواعد الشعر لثعلب والبديع لابن المعتز ونقد الشعر لقدامة بن جعفر وستكون المقارنة موجزة وقصيرة وليس الهدف منها تفضيل كتاب ابن طباطبا على هذه الكتب وانما بيان مايمتاز به منها وما يشترك فيه معها وما تنفرد به عنه •

١ ـ قواعد الشعر :

كتاب صغير قيم لامام الكوفيين في النحو أحمد بن يحيى ثعلب (٢٠٠ ـ ٢٩١ هـ) يشترك مع كتاب عيار الشعر في أن كلا منهما يدور حول الشعر ومقاييسة وقواعده ويختلفان في أمورمنها :

(أ) عيار الشعر أشمل وأكثر موضوعات من قواعد الشعر •

(ب) عيار الشعر أدخل وألصق بالدراسات النقدية من (قواعد الشعر) لأن ثعلباً قد اهتم في عموم

كتابه بالنواحي اللغوية والبلاغية أكثر من اهتمامه بالنواحي النقدية •

(جـ) ابن طباطبا يستشهد بشعر المحدثين بينما لم يستشهد ثعلب إلآ بشعر القدماء وهذا ناتج عن أن ابن طباطبا شاعر محدث يدافع عن المحدثين فاستشهد بشعرهم أما ثعلب فامام من أئمة النحو واللغة يعتمد على القديم ولايرفع الحديث إلى مصافه •

(د) يتفق الكتابان في بعض الموضوعات (التشبيه ــ الافراط ــ الغلو ــ جزالة الشعر ــ اتساق الشعر) وحديث ابن طباطبا عن التشبيه مثلا أوسع وأدق من حديث ثعلب ودراسة ثعلب لحسن الخروج لاتتعدى القدماء بينما ركز ابن طباطبا حديثه على امتياز المحدثين بحسن الخروج والتخلص مع ايراد الأمثلة الكثيرة على ذلك •

٢ ــ البديع لعبد الله بن المعتز : (٢٤٧ ــ ٢٩٦ هـ) •

بحثنا سابقاً علاقة ابن طباطبا بابن المعتز ولاندري من الذي ألف كتابه أولا ابن طباطبا أم ابن المعتز والمقطوع به أن ابن المعتز ألف كتابه عام ٢٧٤ هـ •

ومن مقارنة الكتابين يتضح ما يلي :

(أ) الهدف من تأليف الكتابين مختلف فابن المعتز ألف كتاب البديع ليرد على من يدعي أن البديع من اختراع المحدثين كمسلم بن الوليد وأبي تمام قال في المقدمة (١) (قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله (ص) وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون البديع ليعلم أن بشاراً وأبا نواس ومن تقبلهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن ولكنه كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم فأعرب عنه ودل عليه ...) .

أما ابن طباطبا فقد ألف كتابه جواباً لسؤال عن الشعر وطريقة نظمه وفي ذلك يقول (٢) (فهمت ما سألت أن أصفه لك من علم الشعر والسبب الذي يتوصل به إلى نظمه وتقريب ذلك إلى فهمك والتأني لتيسير ما عسر فهمه عليك

---

(١) البديع ص ١

(٢) عيار الشعر ص ٣

وأنا مبين ما سألت عنه وفاتح ما استغلق عليك منه ان شاء الله) •

(ب) ونتج عن اختلاف الهدف اختلاف الموضوع إلى حد ما فكتاب البديع وإن اشتمل على ماله علاقة بالنقد إلآ أنه الى البلاغة أقرب وكتـــاب عيـــار الشعر وإن اشتمل على موضوعات بلاغيه الآ أنه الى النقد أقرب •

(جـ) اتفق المؤلفان على الاستشهاد بأشعار المحدثين بجانب القدمـــاء مع اختلاف الداعي والســـبب فابن المعتز يريد أن ينصف القدماء ويثبت أنهم سبقوا المحدثين إلى أصناف البديع ولكنهم لم يغرقوا فيهـــا وبالتالي يرد على ادعاء المحدثين أنهم هم الذين اخترعوا البديع أما ابن طباطبا فقد أراد أن ينصف المحدثين ببيان ما امتازوا به على القدماء من حســـن التخلص والانتقال وبالكشـــف عن أزمة الشـــعر المحدث وبيـــان خصائصه •

(د) اشترك المؤلفان في الحديث عن بعض الموضوعات (التشـــبيه ــ حســـن الخروج ــ والابتداء) وحديث ابن طباطبا عن التشـــبيه أكثر تفصـــيلا وأنواعاً بينمـــا اكتفى ابن المعتز بـــايراد أمثلة

جميلة رائعة للتشـــبيه والتعليق القصـــير على بعضها •

٣ ـ نقد الشعر : لقدامة بن جعفر (٢٦٠ ـ ٣٣٣ هـ) •

نقد الشعر لقدامة من الكتب الخالدة في النقد العربي لأن قدامة إمام لمذهب في النقد العربي يعتمد على الدقة والتحديد والتأثر بالثقافة اليونانية •

ولانستطيع الجزم بأن قدامة قد اطلع على كتاب ابن طباطبا لأنه لم يشر اليه في كتابه كما أنه قـــال في مقدمة الكتاب (١) (ولم أجد أحداً وضع في نقد الشعر وتخليص جيده من رديئه كتابا) •

ومن مقارنة الكتابين يتضح مايلي :

(أ) الاختلاف في المنهج النقدي وقـــد عرفنا منهج ابن طباطبا وكيف أنه اعتمد على الذوق المعلل وعلى طريقة العرب الخالصة من التأثير الأجنبي بينما يقوم منهج قدامة على النقـــد الموضـــوعي المنطقي المعتمد على الثقافة اليونانية •

وقد اعتمد كل منهما على العقل الثاقب في النقد ولكن نتيجه هذا الاعتماد مختلفة كما يقول الدكتور إحسان عباس (٢) (ان النقد العقلي قد يستكشف

---

(١) نقد الشعر ص ١٣

(٢) تاريخ النقد الأدبي ص ٢٠٦

العلاقات الجمالية كما هو عند ابن طباطبا وانما نقـد قدامة لايسـتطيع أن يتنـاول الآ الواقع الشعري دون غيره من المسـتويات ومثل هذا النقد يستطيع أن يتمرس بالحقائق التي يقبلهـا العقل في الشعر ويؤثر التقرير والوضوح والحسم الفاصل والصحة المتميزة والفرق بين قدامة وابن طباطبا أن الأول يريد أن يضع للشـعر مخططاً منطقياً بقطع النظر عن السعة والشمول وحكم الذوق والثاني يحاول أن يحد من طغيان الذوق بشيء من القواعد والأسس •

(ب) كتاب قدامة أكبر وموضوعاته أكثر وشهرته أعظم من كتاب ابن طباطبا •

(ج) قدامة أدق في التحديد من ابن طباطبا لأن قدامة يعتمد على الحد المنطقي المركز بخلاف ابن طباطبا الذي يعتمد في الكثير على الأمثلة دون التعريف •

(ء) يتفق الكتابان في بحث بعض المواضيع (التشبيه ــ المبالغة ــ اللفظ ــ المعنى ــ أهمية القافية) مع الاختلاف في الموقف الأدبي من هذه القضايا •

(هـ) نتيجة لاختلاف المنهج النقدي اختلفت نظرتهما الى الأمور ومن نماذج ذلك الصدق والكذب في

الشعر : عرفنا سابقاً اهتمام ابن طباطبا بالصدق والبعد عن الغلو في الشعر أما قدامة فيقول (١) (إن الغلو عندي أجود المذهبين وهو ماذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديماً وقد بلغني عن بعضهم أنه قال : أحسن الشعر أكذبه وكذا يرى فلاسفة اليونانيين على مذهب لغتهم ••) •

(١) نقد الشعر ص ٦٥

أثر ابن طباطبا في الدراسات النقدية

ألف ابن طباطبا « عيـــار الشـــعر » في فترة زاخرة بالدراسات النقدية الرائدة فكانت له قيمة في وقته وأثر فيمن جاء بعده •

وقد استفاد مجموعة من النقاد والبلاغيينمن هذا الكتاب واتخذوه مصدراً من مصادرهم ونقلوا آراءه في كتبهم •

ولانستطيع أن نتتبع آراءه في كل كتب النقد والبلاغة فهي كثيرة ولكننا سنحصر الحديث هنا عن ثلاثة من النقاد الذين عاشوا بعده وكان لآرائه أثر واضح في كتبهم وهم المرزباني وأبو هلال العسكري والمرزوقي •

المرزباني : (٢٩٦ ـ ٣٨٤ هـ) •

نقل المرزباني في كتابه (الموشح في مآخذ العلماء على الشـــعراء) كثيراً من آراء ابن طباطبا في نقد الشـــعر والشعراء من ذلك •

١ ــ نقل في ص ٣٤ رأي ابن طباطبا في قول امرىء القيس كأني لم أركب جواداً (عيار ص ١٢٤) •

٢ ــ نقل في ص ٤٣ رأي ابن طباطبا في قول النابغة : ماضي الجنان (عيار ص ١٠٠) •

٣ ـ نقل في ص ٤٣ رأي ابن طباطبا في قول الأعشى : بانت سعاد وأمسى (عيار ص ٦٧) .

٤ ـ نقل في ص ٥٩ نقده لقول بشر بن أبي خازم : تكن لك في قومى (عيار ص ٩٤) .

٥ ـ ونقل في ص ٨٦ كلام ابن طباطبا عن التشبيهات البعيدة (عيار ص ٨٩).

٦ ـ ونقل في ص ١٢٦ نقده لقول جرير : هذا ابن عمي (عيار ص ٩٢) .

٧ ـ ونقل في ص ١٣٨ نقده لقول الأخطل : ألا سائل الجحاف (عيار ص ٩٣) .

٨ ـ ونقل في ص ١٥٥ نقده لقول كثير : ألاليتنا ياعز (عيار ص ٩١) .

٩ ـ ونقل في ص ٢٣٧ نقده لقول ابن هرمة : وإني وتركي (عيار ص ١٢٥).

١٠ ـ ونقل في ص ٢٤٤ نقده لقول الجعدي : بلغنا السماء (عيار ص ٤٥) .

١١ ـ ونقل في ص ٢٤٩ رأيه في تجنب الاشـــارات البعيدة (عيار ص ١٢٠) .

١٢ ـ ونقل في ص ٢٧٣ نقده لقول أبي نواس : أربع البلى (عيار ص ١٢٢) .

أبو هلال العسكري : (ـ ٣٩٥ هـ) •

أورد أبو هلال أشعاراً كثيرة لابن طباطبا في كتابه (ديوان المعاني) •

أما أخذه وتأثره بنقد ابن طباطبا فيبدو واضحاً في كتاب الصناعتين وإن لم يصرح بذلك الأخذ ولكن النقاد لاحظوا ذلك كالدكتور شوقي ضيف (البلاغة تطور وتاريخ ص ١٢٦) والدكتور إحسان عباس (تاريخ النقد ص ٣٥٦) والدكتور محمد زغلول سلام (تاريخ النقد العربي ١/٢٨٥) •

ومن أمثلة تأثر العسكري بابن طباطبا :

١ ـ تحدث العسكري في الفصل الأول من الباب الثاني (الصناعتين ص ٥٧) عن تمييز الكلام جيده من رديئه فقال (فإذا كان الكلام قد جمع العذوبة ••• وورد على الفهم الثاقب قبله ولم يرده وعلى السمع المصيب استوعبه) ويمكن مقارنة ذلك بما ذكره ابن طباطبا في عيار الشعر ص ١٤ •

٢ ـ وقال العسكري في الفصل الأول من الباب الثالث من الصناعتين (ص ١٣٩) في كيفية نظم الكلام (وإذا أردت أن تنظم الشعر فأحضر المعاني التي تريد نظمها فكرك وأخطرها ••••) وانظر قول

ابن طباطبا حول ذلك في عيار الشعر (ص ٥) وانظر أيضاً الصناعتين (ص ١٤٧) وعيار الشعر (ص ٤٣) •

٣ ـ حديث العسكري عن التشبيه وأقسامه (ص ٢٤٥) قريب من حديث ابن طباطبا •

٤ ـ لم ننقل نصوصاً كاملة وانما أشرنا الى مواضعها رغبة في الاختصار فإذا عاد القارىء الى النصوص كاملة فسوف يتضح له أن العسكري قد استفاد من عيار الشعر وان لم يصرح بذلك •

ابو علي المرزوقي : (••• ـ ٤٢١ هـ) •

وضع أبو علي أحمد بن محمد المرزوقي مقدمة لشرحه على حماسة أبي تمام وضح فيها آراءه النقدية ونظريته في عمود الشعر العربي حتى أن هذه المقدمة نالت شهرة كبيرة في ميدان الدراسات النقدية •

وقد تأثر المرزوقي بابن طباطبا ورجع الى كتابه ونقل عنه قوله (١) (الشعر هو ما إن عري من معنى بديع لم يعرمن حسن الديباجة وما خالف هذا فليس بالشعر) •

وقد تحدث المرزوقي عن المراد بعمود الشعر وحصره

(١) شرح الحماسة ٧/١ وعيار الشعر ص ١٧

في سبعة أبواب وجعل لكل باب معياراً ٠ وهذه المعايير التي ذكرها تشـــبه في كثير منها ما ذكره ابن طباطبا في عيار الشعر بل لعله استفاد من هذه التســمية ويلاحظ التشابه بين كلاميهما فمثلا يقول المرزوقي (١) (فعيـــار المعنى أن يعرض على العقل الصحيح والفهم الثاقب فإذا انعطف عليه جنبتا القول والاصطفاء مستأنســـاً بقرائنه خرج وافياً والا انتقص بمقدار شوبه ووحشــته ٠٠٠) ويقول ابن طباطبا (٢) (وعيار الشعر أن يورد على الفهم الثاقب فماقبله واصطفاه فهو واف ٠٠٠٠) ٠

ويقول المرزوقي عن التشـــبيه (٣) (وعيار المقاربة في التشبيه الفطنة وحسن التقدير فأصدقه مالا ينتقض عند العكس وأحسنه ما وقع بين شيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما ٠٠٠) ويقول ابن طباطبا (٤) (أحسن التشبيهات ما اذا عكس لم ينتقض ٠٠٠٠ واذا اتفق في الشيء المشـــبه بالشيء معنيـــان أو ثلاثة معـــان من هذه الأوصـــاف قوي التشـــبيه وتأكد الصـــدق فيه وحسن الشعر به ٠٠٠) ٠

---

(١) شرح الحماسة ٩/١
(٢) عيار الشعر ص ١٤
(٣) شرح الحماسة ٩/١
(٤) عيار الشعر ص ١١

شعر ابن طباطبا

القصائد والمقطوعات التي استطعت جمعها من شعر ابن طباطبا (حوالى ثلاثمائة بيت) لاتكفي لكى نحكم على شعره حكماً دقيقاً فهي لاتؤهله لأن يكون من الشعراء المشهورين في العصر العباسي بينما يقول ياقوت عنه(معجم الأدباء ٦/٢٨٤) (شاعر مفلق شائع الشعر نبيه الذكر) ويقول ابن المعتز عنه (ما أشبهه في أوصافه الآ محمد بن مسلمة بن عبد الملك الآ أن أبا الحسن أكثر شعراً من المسلمي وليس في ولد الحسن مايشبهه • بل يقاربه علي بن محمد الأفوه) كما ذكر ذلك ياقوت في معجم الأدباء (٦/٢٨٥) •

وأهم مراجع شعره :

١ ــ التمثيل والمحاضرة : للثعالبي •

٢ ــ ثمار القلوب : للثعالبي •

٣ ــ خاص الخاص : للثعالبي •

٤ ــ الكناية والتعريض : للثعالبي •

٥ ــ الصناعتين : لأبي هلال العسكري

٦ ــ المصــون : لأبي أحمد العسكري

٧ ــ البديع : لابن المعتز •

٨ ــ زهر الآداب : للحصري •

٩ ــ الأشباه والنظائر : للخالديين •

١٠ ــ الفهرســت : لابن النديم •

١١ ــ ديوان المعاني : لأبي هلال العسكري

١٢ ــ معجم الأدباء : لياقوت الحموي •

١٣ ــ محاضرات الأدباء : للراغب الأصبهاني •

١٤ ــ معجم الشعراء : للمرزباني •

١٥ ــ المحمدون من الشعراء : للقفطي •

١٦ ــ معاهد التنصيص : للعباسي •

١٧ ــ الوافي في الوفيات : للصفدي •

١٨ ــ وفيات الأعيان : لابن خلكان •

١٩ ــ المحاسن والمساوي : للبيهقي •

وأهم أغراض شعره الوصف :

فقد وصف أدوات الكتابة والنجوم والكواكب والطبيعة وله مقطوعات غزلية جميلة وهجاء مقذع أما المديح فلم يكن من المتكسبين به لأنه كان معتزاً بنسبه العلوي •

فمن شعره الذي اشتهر في كتب البلاغة قوله (١) :

يـــامن حكى المـــاء فـــرط رقتـــه
وقلبـــــه في قســـــاوة الحجـــر

يـــاليت حظي كحــظ ثـــوبـــك من
جســـــمك يـــا واحـــداً من البشر

لاتعجبـــوا من بـــــلى غـــلالتـــه
قـــــدزر أزراره علــــى القمـــر

وقال يصف القلم (٢) :

ولـــــه حســـــام بـــــاترفى كـــفه
يمضي لنقض الأمــــــر أو توكــــيده

ومتـــرجم عمـــــا يجن ضـــــميره
يجري بحكمته لـــــــدى تســــويده

قـــــلم يـــدور بـــــكفه فـــكأنه
فـــــلك يـــدور بنحســــه وســـــعوده

وقال أيضاً (٣) :

دع حـــب أول من كلـــفت بحبـــه
مـــــاالحب إلآ للحبيب الآخــــــر

(١) معاهد التنصيص ٢/١٢٩
(٢) معجم الشعراء ص ٤٦٣ والمحمدون من الشعر ص ٢٦
(٣) الصناعتين ص ٤١٦

مـــا قــد تولى لا ارتجـــاع لطيبه
هــل غــائب اللذات مثـــل الحــاضر

إن المشــــيب وقــد وفى بمقـــامه
أوفى لـــدي من الشـــباب الغــادر

دنيــاك يومـــك دون أمســـك فاعتبر
مــا الســالف المفقود مثــل الحــاضر

الخــاتمة

تعرفنا في هذا الكتاب على ناقد من النقاد العرب القدامى الذين كان لهم في مجال الدراســات النقدية رأي ومنهج والذين كان لهم تأثير في مسيرة النقد الأدبي العربي نحو التكامل والوضوح والموضوعية .

وفي ختام هذا البحث أود أن أوجه دعوة حارة صادقة إلى أدبائنا ونقادنا لكي يعودوا إلى تراثنا الأدبي والنقدي القديم بالدرس والتحليل والتحقيق وسوف يعثرون على آراء قيمة ومناهج نقدية صــافية نقية تغنينا عن مناهج النقد الغربي التي غطت ســاحة النقــد العربي الحديث وقطعت صلته بماضيه المجيد .

وصلى الله على نبينا محمد ؟

مراجع البحث

١ ـ أسس النقد الأدبي / د • أحمد أحمد بدوي ط ٢ نهضة مصر / القاهرة / ١٩٦٠ م •

٢ ـ الأعـلام / خير الدين الزركلي ط ٣ بيروت ١٩٦٩ م •

٣ ـ أعيان الشـيعة / محسن الأمين العاملي / الإنصاف / بيروت / ١٩٥٨ م •

٤ ـ إيضاح المكنون / اسماعيل البغدادي / مكتبة المثنى / بغداد •

٥ ـ البديع / ابن المعتز تحقيق كرايتشوفسكي / دار الحكمه / دمشق •

٦ ـ البلاغة تطور وتاريخ / د • شوقي ضيف / دار المعارف / القاهرة / ١٩٦٥ م •

٧ ـ البيان العربي / د • بدوي طبانة / ط ٦ / دار العودة / بيروت / ١٩٧١ م •

٨ ـ تاريخ الأدب العربي / بروكلمان/دار المعارف/ القاهرة / ١٩٦٢ م •

٩ ـ تاريخ الأدب العربي / د • عمر فروخ / ط ١ / دار العلم للملايين / بيروت /١٩٦٨ م •

١٠ ــ تاريخ النقد العربي / د • احسان عباس / ط ١ / دار الأمانة / بيروت / ١٩٧١ م •

١١ ــ تاريخ النقد العربي / د • محمد زغلول سلام / دار المعارف / القاهرة •

١٢ ــ جمهرة أنساب العرب / ابن حزم تحقيق عبد السلام هارون / دار المعارف / القاهرة / ١٩٦٢ م •

١٣ ــ دراسات في النقد الأدبي / د • محمد عبد المنعم خفاجي / دار الطباعة المحمدية / القاهرة •

١٤ ــ زهر الآداب / الحصري تحقيق البجاوي / دار إحياء الكتب العربية / القاهرة / ١٩٥٣ م •

١٥ ــ شرح الحماسة / المرزوقي تحقيق أمين وهارون / ط ١ / لجنة التأليف / القاهرة / ١٩٥١ م •

١٦ ــ الصناعتين / أبو هلال العسكري / تحقيق البجاوي / ط١ / دار احياء الكتب / القاهرة / ١٩٥١ م•

١٧ ــ طبقات الشعر / ابن المعتز / تحقيق فراج / ط ٢ / دار المعارف / القاهرة •

١٨ ــ علم البيان / د • بدوي طبانة / ط ٢ / ١٩٦٧ م •

١٩ ــ عيار الشعر / ابن طباطبا / تحقيق الحاجري وسلام / ط ١ / المكتبة التجارية / القاهرة / ١٩٥٦ م .

٢٠ ــ فن الشعر / أرسطو / ترجمة د . عبد الرحمن بدوي / النهضة / ١٩٥٣ م .

٢١ ــ الفهرست / ابن النديم/ الاستقامة/ القاهرة .

٢٢ ــ قضايا النقد الأدبي / د . محمد السعدي فرهود / ط ١ / زهران / القاهرة / ١٩٦٨ م .

٢٣ ــ قواعد الشعر / ثعلب / تحقيق الخفاجي / ط ١ / الحلبي / ١٩٤٨ م .

٢٤ ــ كشف الظنون / حاجي خليفة / المثنى / بغداد .

٢٥ ــ محاضرات الأدباء / الراغب الأصبهاني / الشرقية / القاهرة / ١٣٢٦ هـ .

٢٦ ــ المحمدون من الشعراء/علي بن يوسف القفطي/ دار اليمامة / الرياض / ١٩٧٠ م .

٢٧ ــ مشكلة السرقات / د . محمد مصطفى هدارة / الإنجلو / القاهرة / ١٩٥٨ م .

٢٨ ــ معاهد التنصيص / العباسي / السعادة / القاهرة / ١٩٥٦ م .

٢٩ ــ معجم الأدباء / ياقوت الحموي / ط مرجليوث / مطبعة هندية / القاهرة / ١٩٣٠ م •

٣٠ ــ معجم الشـــعراء / المرزباني / ت كرنكو / القدسي / القاهرة / ١٣٥٤ هـ •

٣١ ــ معجم المؤلفين / عمر كحالـــه / الترقي / دمشق / ١٩٥٩ م •

٣٢ ــ من النقد والأدب / د • أحمد أحمد بدوي / نهضة مصر / القاهرة / ١٩٦٥ م •

٣٣ ــ الموشح / المرزباني / السلفية / القاهرة / ١٣٤٣ هـ •

٣٤ ــ النقـــد الأدبي الحديث / د • محمد غنيمي هلال / ط ٤ / النهضة / القاهرة / ١٩٦٩ م •

٣٥ ــ نقد الشعر / قدامة بن جعفر / ت • كمال مصطفى / ط ٢ / السعادة / القاهرة / ١٩٦٣ م •

٣٦ ــ النقـــد العربي الحديث / د • محمد زغلول سلام / دار المعارف / القاهرة •

٣٧ ــ الوافي في الوفيـــات / الصـــفدي / ط ٢ / فسبادن / ١٩٦١ م •

٣٨ ـ الوساطة / القاضي الجرجاني / ط ٣ / إحياء الكتب / القاهرة •

٣٩ ـ وفيات الأعيان / ابن خلكان / ت • إحسان عباس / دار الثقافة / بيروت •

٤٠ ـ هدية العارفين / اسماعيل البغدادي / المثني / بغداد •

٤١ ـ يتيمة الدهر / الثعالبي / ت • محمد محي الدين عبد الحميد / ط ٢ / السعادة / القاهرة / ١٩٥٦ م •

الفهـــارس

فهرس الأعلام

فهرس

القضايا النقديه والبلاغيه

فهرست الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة